7me Année No. 324

Lundi - 31 - 9 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

حربان عظميان

تثيرهما ألمانيا على نمط واحد

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

شهدت الحرب العظمى — أو التى كنا نظنها العظمى — وهى التى قامت فى سنة ١٩١٤، وهأنذا أشهد حرباً عظمى أخرى بعد خمس وعشرين سنة ؛ فأنا فى هذا من المخضرمين . ويبدو لى أن ألمانيا الهتلرية هى ألمانيا القيصرية ، لم تتغير روحها ولا نزعاتها ولا وسائلها ولا أساليبها . فليس البوربون — ملوك فرنسا الذين عصفت بهم ثورتها هم وحدهم الذين لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً . وعجيب أن يكون هذا هو طراز الحكام فى بلد من أرقى بلاد العالم وشعب من خير الشعوب ثقافة وأدباً وفناً وعلماً وفلسفة . ولا بد — كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد — أن يكون فى هذا الشعب عيب يسمح بأن يكون هذا طراز حكامه الذى لا يكاد يختلف

وقد عانت ألمانيا أقسى ما يمكن أن تعانيه أمة من جراء ما حلت من تبعة الحرب العالمية السابقة وبقيت عشرين سنة تنوء تحت هذا العبء وتجاهد أن تطرحه ، فكان المنتظر أن تتقى أن تحمل عبئاً آخر مثله، فإن العائد إلى الجريمة لا يحق له أن يتوقع العطف أو يعول على ما فى قلوب الناس من الرحمة ، ولكن حكام ألمانيا فى هذا الزمان لا يحفلون بالهم إلى النعوات بل يقدمون

على إثارة حرب عالمية بعد أن أعدوا عدتهم لها غير عابئين برأى العالم أو مبالين بما يجره عليهم من السخط والنقمة. وما من شك فى أن الهر هتلر نهج نهجه هذا عن « عمد وسبق إصرار » كما يقول رجال القانون. ومراميه كلها معروفة من كتابه « كفاحى ». وخطته هى أن يعد لبلاده أقصى ما يستطيع من قوة، ثم يتجه إلى الشرق فيبسط سلطانه عليه، حتى إذا تم له ذلك ارتد إلى الغرب فرمى عليه ظله وأذله. ومع أن هذا معروف ولا خفاء به، نراه يتعجب لبريطانيا وفرنسا ماذا يعنيهما من شرق أوربا ولماذا تحاولان صده عن غايته فيه كأنهما لا تعلمان أنه منقلب عليهما بعد أن يفرغ من هذا الشرق.

وكما تجنت النمسا بتشجيع ألمانيا على الصرب فى سنة ١٩١٤ تجنى هتلر فى هذه الأيام على بولندة. فقد ادعت النمسا أن ولى عهدها إنما قتل فى سراجيفو بتدبير الصربيين وإن كان قد قتل فى أرض نمسوية وبأيدى رعايا نمسويين. ولم يظهر أى دليل على وجود أية صلة بين الصرب وهذه الجريمة؛ ولكن الكونت برختولد رئيس وزارة النمسا كان غبياً قصير النظر، وكان همه أن يسحق الصرب، وقد حذره تيزا رئيس وزارة المجر وحذر الامبراطور أيضاً ولكن الامبراطور كان متهدماً وكان زمامه فى يد وزيره الأعمى، فكانت الحرب التى ألوت بالنمسا وأذلت ألمانيا

واليوم يقلد هتلر هذا السلف الطالح فيتجنى على بولندة ويزعمها تهدده لأنها لا تذعن لمشيئته ولا تهدى إليه دانتزج والممر البولندى والأرض التى فيها من الألمان نفر قليل أو كثير. والفرنسيون يقولون فى بعض أمثالهم: « إن هذا الحيوان خطر لأنه يدافع عن نفسه حين يهاجم » وكذلك يقول هتلر عن بولندة فذنبها أنها لا تريد أن تخنق

وقد رسم هتلر خطته ببراعة فأعد فى الغرب خط سيجفريد ليحول دون زحف فرنسا على ألمانيا من الغرب وليتسنى له أن يضع فى هذا الخط أقل عدد يكفى للدفاع عنه، ثم يرمى بمعظم قوته على الشرق فيكتسحه فى أوجز وقت، ويروع العالم بسرعة القضاء على الأمم فى أيام معدودات، وبعد أن يفعل ذلك ويترك دول البلقان مرتعدة الفرائص ويفتح لنفسه الطريق إلى كل سوق ويكفل لبلاده كل ما عسى أن تحتاج إليه من أقوات وبترول وخامات وغير ذلك، وبهذا يحبط الحصر الذى عسى أن تضربه بريطانيا بحراً عليه. يرتد إلى خط سيجفريد بقواته الأخرى ويقول لفرنسا وبريطانيا: الآن نستطيع أن نظل نقتتل نصف قرن إذا شئتما، أفلا ترون أن الصلح خير وأن التسليم بالأمر الواقع أجدى من هذه الحرب العقيمة ...

وكذلك كان القيصر غليوم يعتمد على النصر « البرق » أو « الخاطف » وكان همه يوم شن الغارة أن يحمل جيشه على جناحى نعامة ويطير به إلى باريس ويستولى عليها فإذا الحرب قد انتهت ... واليوم يقلد هتلر سلفه ويزيد عليه الهجوم بغير إنذار وعلى حين غرة وفى مأموله أن يقضى على بولنده ويمحو وجودها قبل أن تستطيع أن تجمع جيشها كله وتقذف به إلى ميادين القتال. فالنصر « البرق » هو الذى عليه معول هتلر الآن كما كان عليه معول القيصر غليوم، وكما أخطأ حساب القيصر يخطئ الآن حساب خلفه هتلر، فإن بولندة تأبى أن تزول فيما « بين غمضة عين وانتباهتها » ولا عبرة بالاستيلاء على بلد هنا وبلد هناك فما دام الجيش الدافع سليماً فالحرب دائرة والهاجم لم ينتصر، وإنما يكون النصر بالقضاء على القوة الدافعة لا بأخذ المدن. وخط سيجفريد قوى متين ولكنه أنشئ على عجل — فى أقل من سنتين — وقد ظهرت فيه مواطن ضعف غير مأمونة، والجيش الفرنسى يختبره الآن ويتلمس هذه المواطن الضعيفة فيه ويحمل عليها، ويضطر ألمانيا إلى إرسال النجدات إليه « على جناحى نعامة » وبتوالى ورود هذه النجدات يخف الضغط الواقع على بولندة فتطول مقاومتها على خلاف ما حسب هتلر. ويجب أن يدخل فى حساب الحاسب أن الجيش الألمانى ليس كما يهولون به فقد كان جيش القيصر خيراً منه. ذلك أنه هو أيضاً أنشئ على عجل بعد أن ظلت ألمانيا عشرين سنة محرومة من جيش بالمعنى الصحيح بمقتضى معاهدة فرساى. ومن السهل أن تجند ملايين الرجال كما فعل هتلر ولكنه ليس من السهل أن تخرج العدد الكافى من الضباط الأكفاء فى هذا العصر لهؤلاء الملايين من الجنود فى أربع سنوات. فالجيش الألمانى لا تنقصه الضخامة فى العدد ولا فى العدة ولكن ينقصه الضباط الأكفاء من الطراز الحديث بسبب هذه السرعة « البرقية » فى تكوينهم

وقد كنا نظن من الواضح أن من العسير فى هذا الزمان أن تسيطر أمة على العالم على نحو ما كان يحدث فى العصور الماضية؛ فليس من الممكن فى هذا الزمن أن تكون فى العالم أمة واحدة لها شأن كما كان الحال فى أيام الرومان والعرب وغيرهم. فما بين أكثر الأمم تفاوت يذكر إلا فيما يحدثه اختلاف الخصائص القومية؛ أما فى العلوم والمعارف والمقدرة على الابتكار والاختراع وما إلى ذلك

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ١٥ —

كنت حدثت القراء فيما سلف أني لم أهجم على الأستاذ أحمد أمين إلا بعد أن صح عندي أنه يسيء إلى نفسه وإلى الأدب العربي إساءة خطرة تستوجب المسارعة إلى تعريفه بخطر ما يصنع عساه يثوب إلى رشده فيرجع إلى الصواب

وفي مطلع حديث اليوم أثير مشكلة تحدث بها إلى تلاميذه في كلية الآداب وكان لها صدًى، هو حيرة بعض الشبان الذين كانوا يثقون برجاحة العقل عند ذلك الأستاذ المفضال

وما الذي حدَّث به تلاميذه في تلك الكلية ؟

حدثهم أن من رأيه ألا يدرس الأدب العربي في المدارس الثانوية ولا المدارس العالية ، وأن الواجب أن يُقتَصر درس الأدب العربي على المتخصصين في دراسة اللغات (؟!)

هذا كلام نقله إلينا كثير من طلبة كلية الآداب ، فهل هو صحيح ؟

يجب على الأستاذ أحمد أمين أن يسارع إلى تكذيب هذا الكلام ، إن كان من المفتريات ، ويجب عليه أن يحدد الغرض منه إن كانت نسبته إليه صحيحة ، لأنا نحب ألا يعرِّض مركزه لأخطار الإشاعات والأقاويل

والواقع أن الكلام المنسوب إلى الأستاذ أحمد أمين يتفق في روحه مع الآراء التي أذاعها في الأسابيع الأخيرة ، فهو يقول صراحة بأن الأدب العربي في أغلب أحواله أدب معدات لا أدب أرواح ، وأنه لم يصور البلاد العربية والإسلامية ، ولم يصف ما وقع فيها من أحداث اجتماعية ، ولم يشهد بأن أهله أحسوا الطبيعة وتأثروا بألوان الوجود

ومن الواضح أن الرجل يحترس في مقالاته أكثر مما يحترس في محاضراته ، فما قاله أحمد أمين في مجلة الثقافة ليس إلا صورة مهذبة لما أذاعه في كلية الآداب

نحن إذن أمام فتنة جديدة ، هي فتنة القول بأن الأدب العربي لا يصلح لتربية الأذواق في الجيل الجديد . وهذه الفتنة ليست من مخترعات أحمد أمين ، فقد نجمتْ قرونها منذ أكثر من خمسين سنة حين أراد المستعمرون والمبشرون أن يوهموا أبناء الأمم العربية بأن الصلة بين ماضيهم وحاضرهم لم يبق لها مكان ، وأن المصلحة تقضي بأن يوضع الأدب القديم في المتاحف ، وألا يدرسه غير المتخصصين على نحو ما يصنع الأوربيون في الآداب اليونانية واللاتينية ، ثم تُقبِل كل أمة على لهجتها المحلية فتجعلها لغة التخاطب والتأليف ، وبذلك تكون اللغة الفصيحة أُمًّا أو جدةً للغات الشعوب العربية ، كما صارت اللاتينية أُمًّا أو جدةً للغات الشعوب اللاتينية . وقد صرح بذلك المسيو ماسينيون في خطبة ألقاها في بيروت سنة ١٩٣١ ونقدتُها يومذاك بمقال أرسلته إلى جريدة « البلاغ » من باريس

والحق أن الفتنة التي أذاعها المستعمرون والمبشرون كانت فتنة برّاقة خدّاعة تُزيغ البصائر والعقول ، وقد انخدع بها من

فالطبقة واحدة أو متقاربة . وقد رأينا الألمان في الحرب العظمى الماضية يفاجئون الحلفاء بالغازات السامة أو الخانقة أو الكاوية وما أشبه ذلك ، ورأينا الحلفاء يسرعون إلى اختراع الكمامات الواقية ثم يصنعون هذه الغازات ويطلقونها على الألمان ، وبذلك يضيعون عليهم هذه المزية . وأمثلة ذلك كثيرة وكلها شواهد على أن ألمانيا تكرر خطأها القديم ولا تعتبر بما كان في الحرب الماضية التي كان الظن أن عبرها ستظل ماثلة

ولعل هذه أول حرب تقدم أمة على إثارتها وهي جائعة، أو على الأقل وهي تعاني نقصاً شديداً في الأقوات والمواد الأخرى التي لا غنى عنها لا في سلم ولا في حرب . فلا عجب إذا كانت بريطانيا وفرنسا تشنان على ألمانيا حرباً اقتصادية فإنهما تعلمان ما تصنعان وتعرفان ما تكابده ألمانيا وما تظن أن في وسعها أن تعالجه وتتقي شره بسرعة القضاء على بولندة وهو حساب بدأ يظهر أنه يخطئ . فالعجب لألمانيا التي تجعل حياتها كلها ومصيرها رهناً بحساب قد يخطئ أو يصيب . الحق أن هذه مقامرة فذة في تاريخ الأمم

ابرهيم عبد القادر المازني

انخدع فى الأعوام الماضية ، فكانت المفاضلة بين الفصيحة والعامية من المشكلات التى تقام لها المناظرات فى بعض المعاهد والأندية الأدبية . وقد وصل صدى هذه الفتنة إلى المجمع اللغوى بالقاهرة فانقسم الأعضاء إلى فريقين : فريق يقول بدراسة اللهجات المحلية وفريق يقول بأن الأفضل إنفاق المال فى إحياء الأدب القديم ، وقامت بسبب هذه المشكلة مساجلات فوق صفحات الجرائد بين الدكتور منصور فهمى والدكتور طه حسين

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين من أنصار القول بإحياء اللهجات المحلية، فهو يدرس على صفحات مجلة الراديو المصرى ألفاظ اللهجة المصرية باهتمام يدل على تأصل تلك الفتنة فى نفسه الواعية !

فهل تكون مقالاته فى مجلة الراديو المصرى نواة لمحاضراته عن الأدب العربى المصرى بكلية الآداب فى الأعوام المقبلات ؟

نحن فهمنا أن الغرض من إنشاء كرسى للأدب المصرى بكلية الآداب هو درس الآثار الأدبية العظيمة التى أبدعها المصريون باللغة الفصيحة منذ فتح العرب مصر إلى اليوم لأن مصر تفردت بمزايا كثيرة بين الأمم العربية ، فأعظم مكتبة عربية فى العالم هى دار الكتب المصرية ، وأعظم جامعة عربية فى العالم هى الجامعة المصرية ، وأعظم معهد إسلامى فى العالم هو الأزهر الشريف ، وأعظم صحافة عربية فى العالم هى الصحافة المصرية ، وأعظم معجم عربى وهو لسان العرب ألف فى القاهرة ، وأعظم كتاب فى السيرة النبوية وهو سيرة ابن هشام أُلِّف فى مصر ، وأعظم كتاب فى تاريخ الإنشاء وهو صبح الأعشى ألفه أديب مصرى هو القلقشندى ، وأعظم موسوعة عربية وهى نهاية الأرب ألفها أديب مصرى هو النويرى ، وأعظم شارح لمذاهب التصوف ، وهو الشعرانى ، مصرى من أبناء المنوفية ... ومصر كانت الملاذ لعلماء العرب بعد أن اعتدى التتار الهمجيون على بغداد ؛ ومصر كانت الملجأ لأحرار التفكير من العرب حين اضطهدهم الأتراك فى سورية ولبنان ؛ ومصر كانت ولا تزال صلة الوصل بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ؛ وبفضل سواعد المصريين اندحر الصليبيون ؛ وبفضل مصر حبطت دسائس المبشرين فى الشرق وهم أعوان المستعمرين فى تقويض دعائم الحضارة العربية

فما الذى سيصنع أحمد أمين حين يدرّس الأدب المصرى بكلية الآداب ؟

أترونه يفهم الغرض الأصيل من الأدب المصرى فيرفع آصار الخمول عن مآثر المصريين فى خدمة الأدب واللغة والتاريخ والتشريع ؟ أم ترونه يتخذ مادة الدرس من الكلام عن أحاديث الحاجة خدُّوجة والمعلِّم مشحوت ؟

إن كلية الآداب لن تعيش بمنجاة من رقابة النقد الأدبى ، ولن يهمس أحمد أمين بكلمة أو فكرة بدون أن تصل إلى من يهمهم معرفة جوهر الرسالة الأدبية التى تذيعها كلية الآداب ، ولن يرنّ فى أبهاء تلك الكلية صوت ينطق بالحق أو بالباطل إلا وحوله أرصاد من عقول الشبان الأذكياء الذين توجِّههم عزائمهم وقلوبهم إلى أن يكونوا أبطال الفكر العربى الصحيح فى العصر الحديث !

وإنى لموقن بأن أصدقاءنا من أساتذة كلية الآداب يعرفون جيداً أن الأمة تنتظر أن يكون ذلك المعهد المعظم أهلاً فى كل وقت للأمانة العظيمة التى عهدتْ بها إليه ، فلا يكون مسرحاً للآراء الخطيرة التى يذيعها بعض الناس فى إحدى المجلات

لقد رجونا ألف مرة أن تكون كلية الآداب بالقاهرة هى النبراس الذى تستضىء به العقول فى الشرق ، وقد استطاعت تلك الكلية بفضل المتفوقين من أساتذتها وخرِّيجيها أن ترفع لواء الدراسات الأدبية والفلسفية ، فمن المجازفة بسمعتها العلمية أن تصفح عمن يقفون عند الحدود السطحية فى فهم الأدب والتاريخ

* * *

أقول هذا وقد كتب إلىّ أحدُ المتخرجين فى تلك الكلية خطاباً يقول فيه : إن اللغة العربية ليست لغة المصريين . ولو شئت لصرحت باسم صاحب ذلك الخطاب ، ولكنه صديق عزيز لا أحب أن أعرِّضه للاتسام بسمة الخطأ الذى وقع فيه أستاذه أحمد أمين

وإنما يهمنى نقض هذا الرأى لأنه على ضعفه يرفع رأسه من وقت إلى وقت ، ويخيِّل للناس أنه قادر على الحياة وأنه يستطيع أن يمشى على رجلين أو على أربع ، وأنه خليق بأن تُنصَب له الموازين !

وهذه الشبهة لها صورة من صور الحق :

فاللغة العربية ليست لغة مصرية ، وإنما هي في الأصل لغة أجنبية حملتها إلينا العقيدة الإسلامية

هذه الشبهة تحمل وجهاً جميلاً من وجوه الحق ، ولكنها تذكر بحكاية اللص الذي رأى صاحب الدار يجول في أرجاء داره فصاح : من الذي هناك ؟ !

أيها القراء

إسمعوا الحجج الآتية ، ثم كذبوني إن استطعتم، ولن تستطيعوا أبداً . أنتم تعرفون أن أهل مصر تكلموا اللغة العربية نحو ثلاثة عشر قرناً ، فهل تعرفون أن المصريين تكلموا لغة واحدة ثلاثة عشر قرناً قبل أن يتكلموا اللغة العربية ؟

هل يستطيع رجل من علماء الآثار المصرية أن يثبت أن أهل مصر كانت لهم لغة واحدة في أي عهد من العهود قبل أن يعرفوا اللغة العربية ؟

إن التاريخ يؤكد أن المصريين قبل الإسلام كانت لهم لغة في الشمال ولغة في الجنوب ، ويؤكد أنهم عرفوا لغة ثالثة هي اللغة اليونانية ، وكانت لغة رسمية في بعض العهود ، وربما استطاع التاريخ أن يقول إن مصر كان فيها ثلاث لغات : لغة لأهل مصر الوسطى ولغة لأهل الجنوب ولغة لأهل الشمال

وقد يستطيع التاريخ أن يؤكد أن بعض الأقاليم المصرية عرفت اللغة العربية قبل الإسلام. والتشابه بين اللغة المصرية واللغة العربية أثبته كثير من الباحثين منهم المرحوم أحمد باشا كمال

وأحدد الغرض فأقول :

إن اللغة التي تسود سيادة تامة في قطر من الأقطار ثلاثة عشر قرناً لا تكون لغة أجنبية وإنما تكون لغة قومية . وسيأتي يوم تسمى فيه اللغة العربية باسم آخر هو اللغة المصرية ، لأن العرب الأصليين في حواضرهم وبواديهم لا يتذوقون اللغة الفصيحة كما يتذوقها المصريون ، ولولا مصر لانقرضت لغة العرب منذ أجيال طوال

يا بني آدم من أهل مصر ، إسمعوا وعوا

إن مصر — لحكمة أرادها الله بالعرب والمسلمين — هي البلد الوحيد الذي انقرضت لغاته القديمة لتحل محلها اللغة العربية، وهذا حظ لم تظفر بمثله أمة عربية : فالأقطار الشامية تحيا فيها اللغة السريانية واللغة العبرانية ؛ والبلاد العراقية تحيا فيها اللغة البابلية واللغة الكردية ، ولغات أخر يعرفها أهل تلك البلاد ؛ والجزيرة العربية تحيا فيها لهجات مختلفات ؛ والبلاد المغربية فيها ما تعرفون من لغات متنافرة بعضها قديم وبعضها حديث ، والرجل العربي قد يحتاج في تلك البلاد إلى ترجمان

وقد عصفت عصور الظلمات بلغة القرآن في كثير من الممالك العربية ، فاضطرت بغداد وكانت عروس العروبة إلى أن تتكلم اللغة الفارسية بضعة قرون ، ثم قهرها الظلم بعد ذلك على أن تتكلم اللغة التركية زمناً غير قليل؛ والشام في مختلف أقطاره تعرض كارهاً لأمثال تلك الخطوب . ومع هذا لطف الله بمصر فظلت موئل اللغة العربية ، وكانت المساجد في القاهرة وفي سائر الحواضر المصرية مدارس جامعة لنشر علوم اللغة والدين ، وما زال الناس يذكرون كيف حفظ الأزهر الشريف مخلفات الفرس والهنود والمراقيين والشوام والمغاربة والأندلسيين في ميادين المعقول والمنقول

فالذين يهمسون بأن اللغة العربية في مصر لغة أجنبية هم قوم مجرمون يستأهلون التأديب وكيف تكون لغة أجنبية وقد تغلغلت في دمائنا وأرواحنا نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكنا الدرع التي تصد ما يوجه إليها من سهام ونبال ؟

إن اللغة العربية في مصر أرسخ من اللغة الفرنسية في فرنسا ومن اللغة الإنجليزية في انجلترا ومن اللغة الألمانية في ألمانيا ، لأن تلك اللغات بصورتها الراهنة لم تعش في بلادها ربع المدة التي عاشتها اللغة العربية في بلادنا ، والفرق بيننا وبينهم أنهم سلموا من الدسائس وابتلينا نحن بالدسائس

وهل يستطيع شاعر مثل فكتور هوجو أن يجد في أجداده من تكلم اللغة الفرنسية كما يجد حافظ ابراهيم من أجداده من تكلم اللغة العربية ؟

وأين كانت اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية في الوقت الذي ظهرت فيه أشعار أبي تمام والبحتري ، وابن الرومي ، والشريف الرضي باللغة العزيزة ؟

وهل فى الدنيا لغة عاصرت القرآن وبقيت مفهومة لأهلها على نحو ما يفهم القرآن فى جميع البيئات العربية ؟

إن مصر هى التى حفظت لغة القرآن بلا جدال ولا نزاع ، فمن العار أن يوجد فى أبنائها من يقول إنها لغة أجنبية

ومن أعجب العجب أن تحفظ لنا الأمم العربية هذا الفضل ، ثم نتنكر نحن لهذا الفضل !

من أعجب العجب أن تذكرنا الأمم العربية بماضينا فى خدمة اللغة العربية ، ثم يكون فينا من يقول بأن اللغة العربية فى مصر لغة أجنبية

فما هى لغتنا إذن ؟

إن اللغات المصرية القديمة لن تعود أبداً ، ولو أنفقنا فى سبيلها غاليات الأنفس والأموال ، فهل ترون أن نتكلم بعض اللغات الأوربية ، وهى أجنبية أجنبية أجنبية ؟

وهل يدعو إلى هـذا الرأى غير مخلوق جهول لا يعرف ما تعيش به الأمم من المقوّمات الذاتية ؟

إن مصر ستحتفل بعد قليل بالعيد الألفى للقاهرة ، فهل تستطيع مدينة فى الشرق أن تقول إنها أدت للدراسات العربية والإسلامية ما أدت القاهرة ؟

هل تستطيع مكة وهى مهد اللغة العربية أن تقول إنها تنافس القاهرة فى ماضيها اللغوى والأدبى ؟

وهل طبع المصحف فى مكة بقدر ما طبع فى القاهرة ؟

وهل أذيعت تفاسير القرآن فى أى بلد عربى بقدر ما أذيعت فى القاهرة ؟

وهل نشرت عيون المؤلفات العربية إلا بفضل مطابع القاهرة؟

وهل عرف التسامح فى درس المذاهب الإسلامية كما عرف فى القاهرة ؟

إحفظوا نعمة الله عليكم ، يا أهل مصر ، وكونوا عند ظن الأمم العربية بوطنكم المحبوب

* * *

ولنفرض أن العامية هى لغة المصريين وأنها ترجع إلى عهد سبق الإسلام هو عهد الهكسوس كما قال بعض المبشرين ، فما عسى أن تكون تلك العامية المصرية ؟ أليست لغة عربية فصيحة المفردات لا ينقصها غير الإعراب وهو ليس شرطاً أساسيًّا فى الإفصاح ؟

أنا لا أسمى هذه اللغة عامية ، وإنما أسميها لغة التخاطب La langue parlée ولـكل أمة فى الدنيا لغتان : لغة تخاطب ولغة إنشاء

ومن حدثكم أن أمثال الإنجليز والفرنسيس والطليان والألمان يتكلمون كما يكتبون فاعرفوا أنه غافل جهول

وكيف تصح تلك الدعوى المريضة وقد عرف كل من عاش فى البلاد الأوربية أن العوام لهم لغة سهلة بسيطة لا تقاس إلى لغة من يحيون فى البيئات العلمية والأدبية ؟

فمن كان فى ريب من ذلك فليشهد بعض الأفلام الفرنسية التى تمثل لهجات الصناع والعمال أو تصور مناحى التعبير عند أهل الشمال أو أهل الجنوب ، فإن فعل فسيعرف أن لغة التخاطب تختلف قليلاً أو كثيراً عن لغة الخطابة ولغة الإنشاء

إننا نعرف أن العصر العباسى كان عصر ازدهار اللغة العربية فى العصور الماضية ، فهل تظنون أن عامة الناس فى البصرة والكوفة وبغداد كانوا يتكلمون كما يتكلم المبرد والجاحظ ومسلم بن الوليد؟

إن فى أدباء فرنسا لهذا العهد من يشكك فى قدرة جمهور الأدباء هناك على التعبير الأصيل باللغة الفرنسية ، ولأحد مؤلفيهم كتاب سماه : Comment on massacre le français

فهل يكون معنى ذلك أن اللغة الفرنسية خفيت أصولها على أدباء باريس وليون ؟

أم يكون معناه أن الغيرة على اللغة تثور فى صدور الأدباء من حين إلى حين بسبب التسامح الذى يشهدونه فى تعابير بعض الكتاب كما فعل عبد القاهر الجرجانى فى مقدمة دلائل الإعجاز حين رأى ما يشبه ذلك عند كتاب القرن الخامس ؟

إن الناس عندنا لا يفرقون بين الحالات التى يختلف فيها بعض الكتاب عن بعض ، وهم يظنون أن كل إنشاء يخالف إنشاء الجاحظ أو ابن العميد هو من شواهد انحطاط اللغة العربية؟

وهم يتوهمون أننا تفردنا بين الأمم بالحيرة بين لغتين : إحداهما لغة التخاطب والثانية لغة الإنشاء

ولو كان ذلك المتخرج فى كلية الآداب قد تخرّج فى قسم اللغة العربية لا فى قسم التاريخ لعرف أن الجاحظ على فضله نص على أن هناك مواطن لا يجوز فيها التعبير بغير اللغة العامية ، وهذا يشهد بأن حياة اللغة العامية ليست نذيراً للغة الفصيحة بالهلاك ، فالذوق يوجب أن يكون لكل مقام مقال وألا تحدّث العوامّ كما تحدث الخواصّ

وهل كان أهل مكة والمدينة يتكلمون فيما بينهم بنفس الأسلوب المعروف فى القرآن والحديث ؟

إن القرآن نزل على العرب بلسان عربى مبين ، ومع ذلك لا يمكن القول بأن العرب لذلك العهد كانوا يعبرون عن ذوات أنفسهم فى شؤونهم اليومية والماشية بنفس الأسلوب الذى عبّر به القرآن عن الشؤون الدينية والدنيوية

فكيف يُطلب منا أن نتكلم كما يتكلم شعراؤنا وخطباؤنا فى جميع الشؤون ، وإلا قيل إننا خوارج على اللغة العربية ؟

وهل يُطلب من تجار النورية بالقاهرة أو تجار الشورجة فى بغداد أو تجار الحميدية فى دمشق أن يتكلموا كما يتكلم علماء مصر والشام والعراق ؟

وهل يتكلم سكان محلة «بل» فيل فى باريس كما يتكلم أساتذة السوربون ؟

أنا أعرف أن أستاذنا برونو كان يوصينا بأن نستمع إلى محاورات العوام فى الترو ، ولكن لهذه الوصية مدلول آخر ، فهو كان يريد النص على أن لغة التخاطب فيها مرونة قد لا توجد فى لغة الإنشاء ، وأن من العقل أن ننتفع بتلك المرونة فى بعض المقامات لأن انصراف العوام عن الزخرف والتنميق أعطى لغتهم خصائص من السهولة والوضوح ، وهما من أهم عناصر البيان

وأؤكد للقراء أن الفرنسى الذى ينتقل من الشمال إلى الجنوب قد يجد من اختلاف الألفاظ والتعابير ما لا يجده العربى حين ينتقل من مصر إلى العراق

فكيف يجوز لبعض الناس أن يوهم القراء بأن العرب تبلبلت ألسنتهم وأن التفاهم بين خواصهم وعوامهم صار من المعضلات ؟

إنه لا مفر من الاعتراف بأن اللغات العامية لها مكان فى كل أرض ، لأنها لغات بسيطة سهلة تؤدى الأغراض اليومية فى المعاملات . ولو فرضنا اللغة الفصيحة على جميع الناس لكان ذلك ضرباً من الإرهاق ... ولا خطر على العرب من أن تكون لهم لهجات عامية تقترب أو تبتعد وفقاً للظروف الجغرافية ، ولكن الخطر كل الخطر هو فى جعل اللهجات المحلية أصولاً ثابتة يتدارسها العلماء ليعطوها من السلطة الأدبية ما يمكنها من الانفصال عن اللغة الفصيحة بعد جيل أو جيلين ، كما يصنع الأستاذ فلان الذى يعد نفسه ليكون «أصمعى» اللهجة المصرية فى هذا الزمان !

وماذا يقول فلان وفلان وفلان إذا حدثتهم بأن اللهجات المحلية فى البلاد العربية أصبحت تقترب من اللغة الفصيحة بسرعة عجيبة لم تكن تخطر فى البال بسبب انتشار الصحافة والتأليف ؟

إن العوامّ فى جميع البلاد العربية يقرأون الجرائد والمجلات ويفهمون مغازيها ومراميها بلا صعوبة ، وشاهد ذلك يعرفه أصحاب المجلات المصرية الذين يشهدون بأن قراءهم فى خارج مصر يعدّون بالألوف

فهل يمرّ ذلك بلا تأثير فى تطور اللهجات المحلية ؟

شرّقوا قليلاً أيها المصريون لتدركوا فضل اللغة الفصيحة فى نشر معارفكم بأقطار الشرق ، ولتروا كيف يعتزّ الرجل المصرى حين يرى له إخواناً يفهمون عنه فى أقطار تفصلها عنه البحار والصحارى والجبال

أنتم لا تعرفون قيمة الحرص على وحدة اللغة العربية ، ولا تدركون قيمة النعمة التى خصكم بها الله حين جعلكم حَفَظَة التراث العربى ، ولو عرفتم ذلك لأضفيتم حلل الثناء على من يَنشُدون أخوّتكم من أهل الشرق ، ويذكّرونكم فى كل يوم بأنهم إخوانكم الأقربون وإن بعُدت الدار ، وشطّ المزار

إن الأديب الذى طويتُ اسمه حفظاً لسمعته ينسى أن المزية الصحيحة التى رفعته مكاناً عليًّا بين زملائه هى قدرته على مخاطبة الجماهير بلغة مصونة من اللحن والتحريف ، فإن أصرّ على معاداة اللغة الفصيحة فليجرّب حظه بطريقة عملية ، ثم لينظر كيف تميد الأرض تحت قدميه

أما بعد فهل ينتهى صديقنا الأستاذ أحمد أمين ؟

هل يدرك أن شبان اليوم يعانون أزمة خطيرة بسبب الدسائس التى يصوبها المستعمرون والمبشرون إلى صدر اللغة العربية ، وأن واجب الأساتذة بكلية الآداب هو حماية أولئك الشبان من تلك السموم الفواتك ؟ هل يعرف أن فرنسا على عظمة إيمانها بسيطرة

دمشقيات

ليلة على سفح قاسيون !

للأستاذ علي الطنطاوي

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم
لم أقض منك لبانات ظفرت بها فهل لي اليوم إلا زفرة الندم ؟
« الشريف »

يا ليلة ما كان أجلها وأقصرها ... وكذلك تكون ليالي الأنس فاتنات قصيرات الأعمار !

يا ليلة ستمر الليالي ولا تمحو من نفسي ذكراها ولا أستطيع أن أنساها ...

يا ليلة ... سكرت فيها بلا كأس ولا قدح ... لقد علمتني السكر فسأسكر الليالي الآتيات بذكراك ... ولكن ثمالة السرور لا يكون فيها إلا رحيق الألم ...

صدق دانتي : إن ذكرى اللذائذ الماضية تؤلمنا !

***

تلك هي ليلتنا على سفح قاسيون ، في قهوة « حسن آغا » نظم فيهـا قلادةَ الأصحاب والأحباب ، شفاءُ الطفل المحبوب « إبراهيم الرواف » فاجتمع الشمل وتم الأنس وألفت الحلقة بين العلم والأدب والشعر والفن والنكتة والغناء ، وجمعت القهوة بين العراق والشآم ، ودمشق وبيروت ، فكان في المجلس كرام أهل كل بلد وكبار أهل كل فن ... وشاركت الطبيعة الناس في فرحة الشفاء فتزينت بحلة الأصيل المنسوجة بخيوط الذهب ، وماست أشجار النوطة دلالاً ، وهمست الأوراق بترتيلة المساء ، وكان مشهد لا يفيد فيه الوصف ، لأن مثله لا يرى إلا في دمشق أو في جنان الخلد ، ودمشق جنة المستعجل ...

وتحدث الأستاذ البيطار ، وتطارح الأستاذان الأثري والتنوخي الأشعار ، ثم تسلم المجلس الأستاذ سعدي ياسين خطيب بيروت فلم يبق لأحد مجال لمقال ، وطفق يلقي النكتة إثر النكتة والنادرة تلو النادرة ، ونحن نمسك بخواصرنا ، ونضرب من الضحك بأرجلنا ونمسح دموعنا ، وهو لا يكف ولا يقف ، ففكرت كم يضيع بيننا من الآداب التي لو دوناها كما دون المتقدمون لكانت لنا ثروة هائلة . وحسبك من هولها أن ما رواه صاحبنا تلك الليلة وارتجله يملأ كتاباً كبيراً ... حتى إذا انطفأ مصباح الكون ، ولبثت عروس الطبيعة ثوبها الأسود ، ووجب حق الله علينا ، قمنا إلى الصلاة ، فأذن مؤذن منا ، فلم نفرغ من الصلاة حتى أذن مؤذن آخر أن حي على الطعام ...

ولما فرغنا وامتلأت بطوننا ، حسبت المجلس سينفض ، وأن القوم قد طعموا فلا بد أن ينتشروا ، فإذا المجلس يبدأ ، وإذا الشيخ سعدي يقدم المقدمات ... ويتحدث عن الغناء والطرب ، فما ظننت والله إلا أنه سيغني . ولقد سمعته حين أذن فسمعت صوتاً حلواً ورنة عذبة ، ولكني وجدته يشير إلى شاب ما فتح منذ الليلة فمه ولا تكلم بكلمة ، فظننته يمزح وقلت إحدى هناته والله ؛ غير أنه بالغ في إطراء الشـاب وشاركه في ذلك من اعتمد ذوقه واطمأن إلى حكمه وارتضى فهمه ، فشككت ولم أصدق أن يكون في دمشق مغن مجود لا أعرفه ، علي ولعي بأهل هذا الفن ، وعلى صلتي بالأديب الموسيقي الأستاذ حسني كنعان لولب أهل الموسيقى ... وكان أشد ما أخشى منه أن يردد علينا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ويحسبها علينا ليـلة طرب ، وتمنيت لو ارتجل ارتجالاً ولم يجاوز أنغامنا العربية إلى أنغام لا نألفها ولا نحبها ، ولا يدعي محبتها إلا قوم يراءون بالطرب منها حتى يقال إنهم متمدنون وأن لهم بموسيقى أوربة بصراً ، ولست بحمد الله من هؤلاء ...

***

وما لبث الشاب أن غنى ، فإذا صوت تمنيت والله أن يكون لي علم الأستاذ محمد السيد المويلحي لأصفه لقراء الرسالة كما يصف هو ،

لغتها الفصيحة سيطرة قاهرة تحسب ألف حساب لخطر اللهجات المحلية وتتخوف من انتقاض « البروفانس » وإنها لذلك أعلنت غضبتها الأدبية على الشاعر ميسترال ؟

من حق السيد فلان أن يتحذلق كيف شاء فيدّعي أن الأدب العربي لا يستحق الدرس في المدارس الثانوية والعالية ، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن اللغة العربية لغة أجنبية ، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن المصريين ليسوا من العرب ؛ من حق هؤلاء أن يقولوا ما يشاءون ما دام القانون لا يحرم الاعتداء على اللغة كما يحرم الاعتداء على الدين ... ولكنا سنريهم أن سيف القلم أمضى من سيف القانون

« للحديث شجون » زكي مبارك

فأقيسه بـ « الكونترالتو » الذى لا أعرف أهو شىء مأكول أم ملموس ، وبـ « الميزو سبرانو » الذى لا أدرى أهو حيوان أم نبات أم جماد أم هو اسم شيطان من شياطين الموسيقى؟ ولكنى واحسرتا جاهل بهذا الفن ، وليس عندنا فى دمشق مويلجى آخر يخلد ذكر هؤلاء النابغين المغمورين الساكين فى الرسالة !

أفيصح أن أصفه كما أعرف ؟

بدأ بـ « ياليل » بصوت ناعم حلو ، فأطربنى صوته ، وأعجبتنى نغمته، ولم أعب عليه إلا خفوته ونعومته؛ وصحت وأنا رجل طروب ، وصفقت ، فقال لى القوم: انتظر إنك لم تسمع شيئاً . وانتظرت فإذا هو يدور بالنغمة دورة ، فإذا له صوت قوى ضخم ولكنه واطئ كقرار عبد الوهاب ؛ وإن كانت له قوة صوت صالح عبد الحى أو الشيخ صبحى الإمام فى الشام ، ثم يعلو به ويعلو ، حتى يرتفع ارتفاعاً هائلاً ، وهو لا يزال على قوته ورجولته ، فبالغت فى الإعجاب وهزنى الطرب ، فقالوا انتظر ، إن بعد هذا لشيئاً ، فسكت أنتظر وما أظن أن بعد هذا شيئاً يكون ، فإذا الشاب (عادل القربى) يقفز من هذا العلو إلى طبقة أعلى وأرفع ، وإذا له صوت صبىّ برقته وحدته وصفائه ، فاستخفنى والله الطرب ، حتى هممت لولا الحياء أن أقوم له فالتزمه وأقبله ، وتركنا فى هذا الأفق السامى ، وهبط بآهة من آهاته إلى القرار ، ثم تهاوت آهته واختفت حتى لقد سمعت الهاء الساكنة ينطق بها قلبه ... ثم سكت سكتة ، فلا والله ما ظننا إلا أن الدنيا قد دارت بنا ، وثارت فى نفوسنا عواصف من العواطف الدفينة ، والذكر الكامنة لا يعلمها إلا الله ، وكانت لحظة صمت وخشوع ، آمنت فيها بما تفعل الموسيقى ... ثم انتبه القوم فزلزل المكان بالتصفيق والهتاف ...

ثم عاد ينادى هذا الليل الأصم : (ياليل — ياليل) والليل يصغى ويطرب ، ولكنه لا ينطق فيجيب . (ياليل — ياليل) كم ذا يهتفون باسمك وأنت صامت ! (ياليل — ياليل) يا ملجأ البائسين، يا سمير العاشقين، يا حبيب المتعبد الناسك، يا عدوّ المريض المتألم الحزين! (ياليل) كم يخفى ظلامك من مشاهد البؤس ومظاهر النعيم! (ياليل) كم تضم أحشاؤك من آلام وآمال ! كم تشهد من أفراح وأتراح! (ياليل) كم يتمنى بقاءك سعيد جذلان ، وكم يرقب فجرك ضائق حزنان[1] (ياليل — ياليل) كم بين جوانبك من ساهر يراقب النجم يرقب حبيباً لن يعود أبداً . أو يناجى ميتاً لا يسمع ، أو يحنو على مريض لا يشفى ، أو يشكو والحياة لا تسمع شكاة (ياليل) يارمز السرمدية ، يا حليف المسرات ، يا قرين الآلام !

* * *

امتلأت نفسى شجناً ، وأحيت هذه (الليالى) ليالىّ الخاليات وملك نفسى شعور أعهده منها كلما سمعت الصبا يا لسحر الصبا ... ومضى الشاب يقلب الأنغام فيتلاعب بالقلوب والمشاعر . ثم كرّ كرّة فجاء بنغمة متقطعة مرقصة ... وأتى بدور يترع النفوس فرحاً، واضطر القوم كلهم أن يرددوا كلمات منه بصوت منخفض يخالطه صوته الدقيق العالى فيكون منه اتساق (آرمونى) موسيقى عجيب ، وعاد المرح إلى المجلس ، وسقط الوقار عن أوقر أهله ، فعلمت أن موسيقانا ليست كلها بكاء وألماً ولكن فيها المرقص المطرب ، وكان الشيخ سعدى لا يذخر سكتة بين نغمتين إلا أحكم المرمى وقذف بنكتة من نكته التى لا ينفد معينها . وزلزل المجلس بأهله من الضحك والغناء ، حتى لقد حسبت الدنيا ترقص معنا . ثم حط الغناء على أنشودتنا الشعبية الخالدة (يا ميجنا — يا ميجنا) تلك التى تصور بمعانيها النفس الشامية ، وتمثل بصورها طبيعة بلادنا وجمال ديارنا ، وهى رمز عبقريتنا الشعبية ومجال الابتكار ، ومحكّ القريحة ؛ فهى ترتجل أبداً ارتجالاً وتعقد لها المجالس ، ويقوم الشاعران يتقارضان المدح أو الهجاء ، وأهل المجلس يرددون اللازمة ... (الميجنا) أنشودتنا الأزلية التى لا يعلم أحد من نظم أول مقطع منها ولا متى ينظم آخر مقطع ... ثم أخذنا فى الأغانى البلدية (هيهات يابو الزلوف) :

منْ هُون لَ أرض الدير　　منْ هُون لَ أرض الدير
والسرّ اللى بيننا　　إيشْ وَصّلُو للغير
وان كان ما فى ورق　　لَ أكتب عَ جناح الطير
وان كان ما فى حبر　　بدموع عينىّ ....

تلك الأغانى التى ولدت فى أودية الشام المختبئة فى سرّ الغيب لا يعلم بها إلا أهلوها والله العالم بكل شىء ، وذراه التى لا يسكنها إلا أهلوها والنور

... فيا أيها المصطافون بالله عليكم ، لا تقفوا عند صوفر وبحمدون وبلودان ، بل تغلغلوا إذا أردتم أن تشاهدوا الجمال جمال الفطرة ، واهبطوا أودية ، وارتقوا ذرى ، واركبوا الدواب ، وسيروا على الأقدام ، ولكن لا ... لا يا أيها المصطافون بالله عليكم ،

(١) حزنان من العامى الفصيح

انسوا ما قلت لكم ، ودعوا الجبل على فطرته ، أتركوه يعيش على جهله الفاضل ، وفقره السعيد . لا تحملوا إليه الحضارة التي أفسدت بلودان وصوفر وبحمدون ...

هذه الحضارة ، ويل لنا من هذه الحضارة !

لقد سلبتنا كل شيء ! فهل تسلبنا موسيقانا ؟ إنا لا نجد ساعة الضيق إلا أغانينا وأنغامنا ، نصب فيها آلامنا ونستوحيها الأمل ، ونمسح بها دموعنا . أفتريدون ألا يبقى لنا وزر نلجأ إليه ساعة الضيق ؟

إن الموسيقى غذاء الروح ، فشأنكم ، قلدوا أوربة في كل شيء لكن دعوا لنا غذاء أرواحنا . أفتحبون ألا نجد لأرواحنا غذاء فنتركها تذوي وتموت ؟

هذه صرخة قلوبنا ، فهل يصغى إليها هؤلاء الذين وهبهم الله نعمة الفن ليحفظوا علينا فننا ، فذهبوا يضيعون بهذه النعمة فننا ؟ هل يصغى عبد الوهاب نابغة العصر ؟

إني والله لأسمع في السينما أغاني القوم من أهل أوربة ، فلا أحس طرباً ولا أرى فيها إلا اختلاطاً في الأنغام من باب ...

سقياً ورعياً وزيتوناً ومغفرة تقلتم الشيخ عثمان بن عفانا

وليقل عني من شاء ما شاء ، ثم أسمع عبد الوهاب فأعجب ، ولكني لا أطرب ، فإذا سمعت علياً الكردي في الشام أو القبانجي في بغداد عرفت ما هو الطرب .

هكذا أنا ، وهكذا الناس ، فدعوا لنا أغانينا ...

وضرب الشاب في كل فنّ من الغناء ، ثم غنّى في أبيات أبي صخر الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوًى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منهـــا لا يروعهما الذعر

فنقلني إلى مجالس الخلفاء التي صوّرها أبو الفرج ، ونال مني الطرب ؛ فعرفت أن لقد كان حقاً ما ذكر الأصبهاني وأن المرء قد يمزّق ثوبه من الطرب ، أو يحرق لحيته بالسراج وينادي النار يا أولاد ا! . . . ومن يضع الوسادة على رأسه ويصيح « زلابية بعسل » . . .

ولكن ماذا ينفع الشاب إعجابي ، وماذا تفيده هذه العبقرية وهو مضطر إلى العمل في سوق الحميدية ليعيش ؟ أفليس حراماً أن يدفن هذا النبوغ في دكان ؟ أليس حراماً أن صبحي الحموي يعيش متنقلاً بين القرى يراقب إصلاح الطرق المخربة وهو من أقدر من أمسك بمضراب العود ؟ أليس حراماً أن يكون عليّ الكردي شيخ الفن القديم في الشام دلال بيوت ؟ أليس حراماً أن يشتغل تحسين بك سيّد أهل الناي في البلاد كلها بإصلاح أنابيب المياه في البيوت وهو في الثمانين من عمره ؟

وفي بغداد ، أليس الشيخ حيدر الجوادي عاملاً في دار لتجليد الكتب ؟ وفي مصر ، أما فيها كثير من أهل الفن لا يعبأ بهم أحد ؟

ولكن لا بأس

لقد عهدتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

لا بأس أن يموت الفنان جوعاً ، فسينصب له بثمن خبزه تمثال ، ورحمك الله يا سيد درويش . . .

(دمشق) **علي الطنطاوي**

حديث في القرن التاسع عشر

للأستاذ خليل هنـداوي

التفت إلى محـدثي — وهو شيخ وقور(١) — وقال لي : إنني محدثك حديثاً عجباً !

قلت : هات !

قال :

كنت في نهاية القرن التاسع عشر في وظيفة إفتاء للأسطول العثماني . وأُلزمتُ أن أركب البحر من الدار العلية إلى شاطئ المغرب لمشاغل دينية ، على باخرة يونانية صغيرة تميل كلما مال عليها الموج . كنت في عزلة موحشة ، لأني غريب لا تميل سحنة إلى سحنتي ، ولا ينحني زي على زيي . وصدفة جلس إزائي على المائدة رجل قد تجاوز الأربعين ، ولكن ملامح الأسفار على وجهه ، وقد استبد الشيب بأكثر مساحة رأسه . أما همته ، فلا تزال في صعود : يمشي فلا ينحني ، ويتكلم فلا يتتعتع ...

بادرني قائلاً بالألمانية :

— هل تحسن الألمانية ؟

— لا .

سكت ريثما فرغت جفنة من الطعام وعاد سائلاً :

— هل تحسن الفرنسية ؟

— لا .

— هل تحسن الإنجليزية ؟

— لا .

ثم قال لي بلسان فصيح طلق كأنه أحد البداة :

— وهل تحسن اللغة العربية ؟

— أنا ابنها !

— ما اسمك ، وما وسمك ، ومن أين ، وإلى أين ؟

أجبته على سؤاله ، وعجبت من أمر هذا الرجل الذي كان ينبغي له لـما صادفه من زيي أن يسألني بالعربية . وقدم إلي نفسه بأنه مستشرق ألماني من هامبورج ، قضى في الشرق زمناً طويلاً يبلو به الأخلاق ، ويدرس العادات . وكانت صحبتنا خلال هذه الأيام المعدودة ، صحبة متينة وثيقة ، تجاذبنا فيها ما اختلفت ألوانه من الأحاديث . وقبل أن يغادرني إلى بلده قال لي :

— والآن أريد أن أسألك عن مسألتين ، ولـكني رجـل لا أحب النقاش الممل ، والجدل القائم على المكابرة .

قال :

— إنني أطلب إلى الله أن يميتني على دين عمر بن الخطاب !

قلت له :

— يا هذا ! إن الدين دين محمد ، فكيف تسنده إلى عمر ؟!

أجاب :

— نعم . إن الدين دين محمد ، ولـكني أدعو الله أن يميتني على دين عمر . . . إن محمداً جاء بالدين ودعا إليه ، وأبو بكر شد أزره ، وثبت أمره . وجاء عمر ينشره ويؤيده وينفذه ... ومات عمر والمسلمون من بعده لا يزالون يتخبطون في فتنة عمياء ، عرفت أوائلها ، ولا تعرف خواتمها ! المسلمون اليوم على دين غير دين عمر . وماذا ـ لعمر الله ـ يرعون من هذا الدين إلا رسومه ؟ دين عمر يأمر بالصلاح وهم فاسدون . دين عمر يأمر بالأمانة وهم خائنون ، ويأمر بالصـدق وهم كاذبون ، ويأمر بالوفاء وهم غادرون . . .

سمعتُ هـذا من محدثي ، وبرقت لنفسي خاطرة أحببت أن أوضحها ، وأحببت أن ألفت إليها أنظار المصلحين من رجال الدين : إن الأخلاق التي حث عليها الدين تنحصر في نوعين : الأخلاق الحسية ، والأخلاق المعنوية . أما الأولى فهي تتناول الظاهر وتجمل من الرجل الذي يتمسك بها رجلاً فاضلاً محترماً . وإلى هذا النوع من الأخلاق يميل المصلحون ، وعلى ممارسته يحثون. على أن المسلمين في الحقيقة لم يتردوا في هذا الدرك الأسفل من الذل ، لأن بعضهم يشرب الخمر أو يفسق أو يقامر ، وإنا لنرى أكثر الأمم المتسلطة علينا غارقة في خمرها وفسقها وقمارها . . . فلم يضرها ذلك شيئاً . أما الجانب الأكثر خطراً في الأخلاق ، فهو الجانب المعنوي الذي تقاس به حيوية الأمم . ولعل هذا الجانب هو ما قصد إليه المستشرق ، لأنه وجد أخلاقنا المعنوية ، ومقاييسنا الروحية هزيلة جداً : فتاجرنا مثلاً يثري بالخيانة والحيلة ، وفقيهنا يرتع بالـكذب ، ومصلحنا يقصد جيبه قبل أن يقصد ربه . ومثل هذا الجانب هو ما ينبغي للمصلحين أن يعالجوه ! وقد عرف رجال الدين كيف نعت الرسول (ص) الـكفر بالشرك الأكبر والرياء

(١) وهو الأستاذ الطرابلسي الشيخ علي شيخ العرب

فى الأخلاق بالشرك الأصغر. ومن ذا الذى لا يذكر ذلك الأعرابى الذى قدم على الرسول والرذائل حشو ثيابه، فقال له: إنه لا يستطيع أن يقعد عن الخمر، وعن الفسق، وعن القمار. فما عالجه الرسول الحكيم إلا من الناحية المنوية التى تقوى الشخصية وتنقى النفس قال له:

— لا تكذب، وافعل بعد هذا كل شيء!

لكن الأعرابى بعد يومين ترك كل رذيلة.

وها هنا روعة الفهم وروعة الحكمة!

ولكن كيف يعمل مصلحون يتاجرون بالأخلاق الحسية على حساب الأخلاق المنوية؟

إلتفت المستشرق إلى محدثى وسأله عن المسألة الثانية:

— وما هو الفارق بين الشرقيين والغربيين؟

فاعتذر صاحبى بأنه لا يعرف الغرب معرفة صحيحة، كما اعتذر الشيخ محمد عبده حين سأله الفيلسوف سبنسر عن أخلاق الإنجليز فأجاب المستشرق:

— إن الشرق كفرد له قيمته وطيبة قلبه، بعكس الغربى الذى فسدت ذاتيته، وتعطلت محاسن نفسه. ولكن الشرق حين يندمج ويتكتل مع غيره لا يلد إلا كتلة فاسدة متفسخة، يسوقها الطمع، وتقتلها الأنانية. بعكس الكتلة الغربية التى يسودها النظام، وتذوب فيها المصالح الفردية. ولهذا يرجع سر نجاح الجمعية الغربية، وفشل الجمعية الشرقية!

ولقد أصاب المستشرق الهدف إلى حد بعيد، لأن تربية الشرق تربية ذاتية أنانية تدور حول نفسها، لا تعمل الخير ولا تطلب الإحسان فى العمل إلا إذا عملت لنفسها. بينما تربية الغربى تكاد تصبح تربية جماعية اجتماعية، كأنما أدركت هذه التربية قول الرسول (ص): يد الله مع الجماعة.

ولكن ما عسى يقول هذا المستشرق لو عرف أن الشرق الذى كان يعرفه قد مات، وأن الشرق اليوم قد أضاع طيبة القلب وأمانة النفس كفرد، وبهذا أصبح لا يصلح للحياة كفرد فى نفسه ولا فى مجتمعه!

وهنا افترقا...

***

لكن القدر هيأ لهما اجتماعاً ثانياً بعد أربعة أعوام فى مدينة المستشرق — هامبورج — فاستقبل المستشرق صاحبنا وأحله فى مثواه، لأنه عربى له عليه حق الضيافة. وفى اليوم الثانى عرّج به إلى الجامعة، وقدمه إلى رئيسها، وهو شيخ مفكر، لكنه غير محلول اللسان

قال الرئيس لمحدثى بالعربية:

— كيف رأيت بلادنا؟

— البلاد جميلة!

— جميلة! الظواهر جميلة فى انتظام، أما البواطن ففى انقلاب! ولكن إذا حكم الإنسان العقل أدرك الأمور بحقائقها

فالتفت محدثى إلى الرئيس وقال:

— على ذكر العقل وإدراكه للحقائق، أود أن أذكر هذه الفقرة من كتاب مخطوط قرأته فى مكتبة — أيا صوفيا — وهو فى التصوف، واسمه «نور الأبصار» لمؤلفه الشيخ بهاء الدين اليانيلى من منطقة الألبان (صدر فى سنة ١١٦٠ هـ). قال عن الشيخ العارف الأكبر السيد محى الدين بن عربى: «ما عرفت رجلاً عرف الله عن طريق العقل مثل أفلاطون... وأفلاطون فيلسوف يونانى تفتحت له الحكمة، وانزاحت عن عينيه الحجب. وقد أوصى بأن ينقش على قبره: «الحكمة سلم العالم الأعلى، من علمها فقد علم القرب إلى بارئه، من تدبر نظر، ومن نظر عرف، ومن عرف عمل، ومن عمل انفتح ذهنه وعقله، ومن انفتح ذهنه وعقله صفت نفسه، ومن صفت نفسه وصل إلى خالقه بدون واسطة!»

وهنا طلب الرئيس إلى محدثى اسم الكتاب واسم مصنفه ومكانه. وطلب إلى أستاذ فى الجامعة أن يسافر لغده إلى — الدار العلية — لاستنساخ الكتاب. ويضيف محدثى إلى ما قاله: وبعد شهرين علمت من قيم المكتبة أن أستاذاً ألمانياً نقل الكتاب، وأعطى القيم مكافأة حسنة...

خليل هنداوى

يا رســـول الله !

للأستاذ جليــل

إن الدهر قد جار على قوم عرب ! ! !

روى المسعودى فى (التنبيه والإشراف) أخبار طائفة من الأفدية بين العرب والروم ، منها خبر هذا الفداء :

« الفداء الأول فداء أبى سليم ، كان أول فداء جرى فى أيام ولد العباس فى خلافة الرشيد باللامس[1] من ساحل البحر الرومى على نحو من خمسة وثلاثين ميلاً من طرسوس[2] سنة ١٨٩ — والملك على الروم نقفور — وذلك على يد القاسم بن الرشيد وباسمه ، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنّسرين من أعمال الحلب . حضر هذا الفداء وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولى له بناء طرسوس فى سنة ١٧١ للهجرة ، وسالم البربرى مولى بنى العباس فى ثلاثين ألفاً من المرتزقة ، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار نحو من خمس مئة ألف ، (وقيل أكثر من ذلك) بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة . قد أخذوا السهل والجبل ، وضاق بهم الفضاء . وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى ، ومعهم أسارى المسلمين وكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوماً — ثلاثة آلاف وسبع مئة — (وقيل أكثر من ذلك) . والمقام باللامس نحو من أربعين يوماً قبل الأيام التى وقع الفداء فيها وبعدها » .

وذكر المسعودى فى ذلك الكتاب هذا الخبر :

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية فغير ذلك نقفور[3] ، وكتب (ملك الروم) ، وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب

(١) اللامس : قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس ، كان فيها الفزاة بين المسلمين والروم . يقدم الروم فى البحر فيكونون فى سفنهم والمسلمون فى البر ، وتقم الفزاة (معجم البلدان)

(٢) طرسوس مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وبها قبر المأمون ، جاءها غازياً فأدركته منيته (معجم البلدان)

(٣) فى تاريخ الطبرى : الروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان . وفى التنبيه والاشراف : قيل : بل من ولد متنصرة إياد الذين دخلوا فى أرض الروم من بلاد الجزيرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وأنكر على الروم تسميتهم العرب : (ساراقينوس) تفسير ذلك عبيد سارة ، طمعاً منهم على هاجر وابنها اسمعيل . وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت ـ يعنى سنة ٣٤٥ ـ تسمى العرب ساراقينوس » .

* * *

قرأت ما روى المؤرخ المسعودى فرددت :

تذكرتُ والذكرى تَهيج لذى الهوى
ومن حاجة المحزون أن يتذكرا[1] !

وخط القلم هذا المكتوب : أقمنا وجيراننا الروم — بضعة قرون — نتغاور ونتمارك ونتناحر : تصبح أجنادنا وبعوثنا : (الصوائف ، والشواتى ، والربيعيات) دروبهم ومدائنهم وتمسيها

لما حللتَ الثغر أصبح عالياً للروم من ذاك الجوار ـ جوار[2]

أبقت بنى الأصفر المراض كاسمهم
صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب[3]

أنت طول الحياة للروم غاز فمتى الوعد أن يكون القفول[4]

وكيف ترّجى الروم والروس هدمها
وذا الطمن آساس لها ودعائم[5]

وتطلع على ربوعنا والعواصم[6] بنودُ الروم[7] يقاتلون مستبسلين .

كنا نتحارب ، وكنا نتهادن ، ونفادى أسرانا عندهم ، ويفادون أساراهم عندنا والحرب سجال

وكان تنابز بالألقاب ، فكنا نقول لذوى القرون[8] : يا أعلاج يا علوج !

ويقولون لنا ساخرين : سراقينوس ! .

فلما وهنوا ووهنا وهلكوا وهلكنا أقبل قبيل كنا هديناه

(١) للنابغة الجعدى فى مشوبة فى الجمهرة ومطلعها :
خليلى عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

(٢) أبو تمام فى أبى سعيد الثغرى (جوار) جؤار ؛ وقد خفف للذى ولع حبيب به ...

(٣) أبو تمام فى المعتصم فى فتح عمورية وفى هذه القصيدة الخالدة يقول :
يا يوم وقعة عمورية انصرفت منك المنى حفلا معسولة الحلب
جرى لها الفال برحا يوم أنقرة إذ غودرت وحشة الساحات والرحب
قال المسعودي : خرج المعتصم إلى أرض الروم غازيا فافتتح انقرة ومدينة عمورية فى شهر رمضان سنة ٢٢٣ .

(٤) ، (٥) المتنبى فى سيف الدولة

(٦) العواصم : قلاع وحصون وبلاد قصبتها إنطاكية

(٧) البنود أعلام الروم تحت كل بند عشرة آلاف

(٨) خرج إلى بلاد ذات القرون وهم الروم لطول ذوائبهم (الأساس)

وعلمناه وهذبناه ومدناه — كما مدنا سواه(١) — وقربناه ، وإن شئت فقل : أنشأناه خلقاً آخر ، وما كان يمد من الناس ، وامتلك دار الروم و « رب ساع لقاعد » . وقد كافأنا لئيم شر مكافأة :

جزتنا بنو (مُغل) بحسن فعالنا   جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب !

خرب لنا حضارة في مصر ، ونهب الناهب كنوزنا ، وتمالأ هو والإفرنجي علينا في هذا الوقت ، وابتز المختلس الظالم حقاً هولنا

فإن الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذوحفرت وذوطويت !

وضام — غير راحم ولا كريم — في الربع المحروب كل عربي نصراني أو حنيف ! وشرد العرب البائسين في البلاد تشريداً ! وحقر لوغادته لغة (الكتاب) المبين — الله أكبر ، الله أكبر ! — وهي التي كونت لسانه ؛ فنطق الأعجم مثل الناطقين

ألا إن العربيين لمستأهلون(٢) — بما شقوا ليسعد غيرهم — أن يقول لهم الروم : « سراقينوس » مستهزئين وشامتين

* * *

يا محمد ! يا محمد !

لقد ضامنا في هذا الزمان الإفرنجي والتركي حتى ذاك الذي ضربت عليه الذلة — حيهلاً بك يا منيةُ حيهلْ — وكان ضعفنا ولؤمنا وتمادينا وصدَعاتنا(١) وغضبك علينا ، غضبك على الخلف الخالف من أجل ذلك — أقوى معين للضائمين !

فإن لم تمنّ على المنتمين إلى عربية (قرآنك) العربي بشيء من عطفٍ ورضا هلك — يا سيدي أبا القاسم — أتباعك ، خدام (كتابك) خدام (لسانك) خدامك — في الهالكين

ياسيِّدالوجود يا رسول الله! يا أبا بكر الصديق! ياعمر الفاروق! يا ذا النورين ! يا أبا الحسنين ! إن الدهر قد جار على قوم عرب !

(*)

(١) نحن الحفاة والعراة ورعاة الابل ، نحن الذين بلغوا الرسالة ، رسالة محمد ، رسالة الحق والعدل والتفكير والحرية والمساواة ، وهدوا الناس ومدنوا أوربة . قال صاحب كتاب La civilisation des Arabe في ختام كتابه في الصفحة ٦٧٧ :

Au point de vue intellectuel et moral ils ont civilisé l'Europe

(٢) اللسان: الأزهري : خطأ بعضهم قول من يقول فلان يستأهل = أن يكرم أو يهان بمعنى يستحق ، وأما أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله واستحسن الزمخشري الكلمة استحسان الأزهري

(١) الصدعات : التفرق في الرأي والهوى . وفي الأساس : أصلحوا ما فيكم من الصدعات .



إلى صديقي ...

حول زيارة لضريح ابن عربي

للأستاذ صديق شيبوب

هنيئاً لك يا أخي تنقلك بين مصايف لبنان المرتفعة منها والمنخفضة، بين الجبال الشاهقة والأودية السحيقة، بعيداً عما نمانيه من حر مضن ورطوبة قاتلة ونزلة وافدة. ولعلك بعد أن تتم طوافك في لبنان لا تنسى أن تزور دمشق لأنه لا بد لكل من يصطاف بلبنان من أن ينتهي بزيارة الفيحاء، أو كما قال شاعرنا العربي

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

ولدمشق سحر خاص تتميز به عن غيرها من البلدان العربية الكبرى. ولا أصف لك الحدائق الغناء التي تحيط بها، وهي نفحة من نفحات الجنان، ولا الآثار البديعة القائمة فيها وبعضها من الروعة بمكان. فإنك ستزورها وستشهد هذا جميعه وتعجب به

وزائرو دمشق يكتفون عادة من آثارها بالجامع الأموي ودار المجمع العلمي والمكتبة وبعض القصور القديمة وبعض المصانع الوطنية؛ وقليل منهم من يفكر في زيارة ضريح الشيخ محيي الدين ابن عربي، أو يفطن إلى أن «بحر المعارف الإلهية، وترجمان العلوم الربانية، الشيخ الأكبر، والقطب الأنخر» كما يلقبه الشيخ عبد الغني النابلسي، مدفون فيها

ولقد زرت دمشق أكثر من مرة، وكنت في كل مرة أتردد على الأماكن التي تعود الناس زيارتها. ولم أفطن مرة إلى ضريح «الشيخ الأكبر» كما يلقب علماء الصوفية ابن العربي بالرغم من أني ركبت أكثر من مرة (تراماً) يعرف خطه باسم «الشيخ محيي الدين» في غدوي ورواحي إلى حي الصالحية حيث كنت أقيم

ولم يخطر ببالي في زياراتي الأولى أن أسأل من هو محيي الدين هذا. ولا أخفي عنك أني لو سألت يومئذ عنه وقيل لي إنه ابن العربي لما نبه في ذهني خاطراً بعيداً، أو بعث في نفسي شوقاً مزيداً إلى زيارة ضريحه، لأني لم أكن أعرف عنه أكثر من أنه إمام من أئمة الصوفية وأنه صاحب هذه الأبيات الجميلة التي كنت أحفظها من غير أن ألتفت إلى معناها الصوفي وهي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لنيران ومعبد طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه، فالحب ديني وإيماني

ولم أكن أعرف ابن العربي، كما وصفه الشيخ صفي الدين ابن أبي منصور في تعابير صوفية رائقة، فقال إنه «الشيخ الإمام المحقق، رأس أجلاء العارفين والمقربين، صاحب الإشارات الملكوتية، والنفحات القدسية، والأنفاس الروحانية، والفتح المونق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، والمحل الأرفع من مراتب القرب في منازل الأنس، والمورد العذب في مناهل الوصل، والطول الأعلى في معارج الدنو، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية، والباع الطويل في التصريف في أحكام الولاية. وهو أحد أركان هذا الطريق»

أو كما وصفه الذهبي: «وله توسيع في الكلام، وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق في التصوف، وتآليف جمة في العرفان. ولولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس. ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته»

أو كما وصفه المسدي: «كان ابن العربي ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، خاض بحار تلك العبادات، وتحقق بمحيا تلك الإشارات، وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدم والإقدام، ومواقف الغايات في مزالق الأقدام»

أو كما قال أيضاً: «وكان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق»

أجل لم أكن أعرف هذا جميعه عن ابن العربي، بل لم أكن أعرف كثيراً أو قليلاً عن أئمة المتصوفين لأني وصلت إلى دراسة

التصوف متأخراً ... بل إنى لم أكن أتذوق كما يجب أشعار ابن الفارض لأنى لم أكن أفطن إلى كل معانيها الصوفية .

وأذكر اليوم فى شىء من الخزى أن كبيرة أديباتنا العربيات زارت منذ سنين ضريح ابن الفارض بالقاهرة بسفح المقطم، أو كما قال حفيده الشيخ على فى رثائه المعروف «بالقرافة تحت ذيل العارض» ثم كتبت عنه مقالاً كله إطراء وثناء ؛ وكان أن لقيتها بعد ذلك بالأسكندرية حيث كانت تصطاف وقلت لها : إنى لا أشاطرها إعجابها به . فأجابتنى بأنه يجب أن أحاول فهم شعر ابن الفارض من الناحية الصوفية قبل أن أتحدث عنه كشاعر

ولعل هذا كان أول حافز لى لدرس الصوفية على قدر اجتهادى

ولا شك أن لابن الفارض مكانة خاصة فى شعرنا العربى لأنه يكاد يكون الوحيد الذى عالج شعر الصوفية على النحو الذى نحاه شعراء الفرس والترك الصوفيون المبتدعون أمثال العطار وجلال الدين الرومى وسعدى وحافظ . ولا يدانيه فى هذا الباب غير ابن العربى ، وإن يكن قد قصر عنه . فابن الفارض إذن فارس هذه الحلبة فى لغتنا العربية وبطلها الفرد ، وقد قال فيه نيكلسون : « إن أشعار ابن الفارض غاية فى اللطف » . ولا أذكر الآن من قال فى وصف ديوانه إنه «معجزة فى عالم الأدب»

والصوفية فى شعر ابن الفارض مراتب من حيث الوضوح والغموض . ولعل « خمريته » تحسب وسطاً بين شعره الغنائى الغزلى وبين « التائية الكبرى » المعروفة بنظم السلوك

وهل أروى لك للدلالة على تشعب معانى هذه القصيدة الأخيرة ما ذكروا من أن أحدهم قصد ابن الفارض يستأذنه فى شرحها ، فسأله عن مقدار الشرح ، فقال : إنه سيقع فى مجلدين . فضحك الشاعر الصوفى وقال : « لو أردت لكتبت مجلدين تفسيراً لكل بيت فيها »

على أن المقريزى ذكر فى ترجمة عمر بن الفارض أن محيى الدين ابن العربى بعث إليه فى شرح التائية الكبرى فرد عليه الشاعر : « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » إشارة إلى كتاب ابن العربى « الفتوحات المكية » الذى جمع فيه شتات العلوم الصوفية فى خمسمائة وستين باباً

وبين ابن العربى وابن الفارض بعض الشبه . كانا متعاصرين فكلاهما من رجال القرن السابع للهجرة ، أى القرن الثالث عشر للمسيح ، فقد توفى ابن الفارض سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) وتوفى ابن العربى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) . وكان ابن الفارض يصاب بدورة إغماء وغيبوبة فإذا أفاق منها أملى أشعاره ؛ وكان ابن العربى يعتقد أن ما يكتبه يتحول إليه بطريق الوحى فى حالة الغيبوبة والمجاهدة . وكلاهما من أئمة الصوفية ، ولكن بينما هى غامضة بعض الغموض عند ابن الفارض لأنه يرمز إليها فى صور شعرية، نجدها واضحة عند ابن العربى لأنه يبحثها نثراً . وكان ابن الفارض ينظم غزلاً يرمز به إلى الله فى غير حبيب مجهول ، ويكثر فيه من أنواع البديع بينما نجد ابن العربى ينظم شعره من غير أن يتعمد أنواع البديع فى فتاة مكية

أما من حيث المحسنات البديعية فلعل الفرق ناتج عن المحيط الذى نشأ فيه كل واحد من الشاعرين . فقد ولد ابن الفارض فى القاهرة ونشأ فى محيط شرقى فاكتسب شعره المميزات التى كانت بارزة فى بيئته بين معاصريه . أما ابن العربى فقد ولد بمرسية (فى ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ هـ . أى ٢٨ يوليو سنة ١١٦٥ م .) ونشأ وتأدب فى بلدان الأندلس بين أشبيلية وسبتة ، وقد استقر فى الأولى ما يقارب الثلاثين عاماً ، ولم ينزح إلى المشرق إلا عندما شارف الأربعين سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ — ١٢٠٢) فاكتسب شعره مميزات مواطنيه ، وكانوا أقل عناية بالمحسنات اللفظية من شعراء مصر والشام والعراق

أما معشوقته ففتاة مكية تسمى « نظاماً » وتعرف بلقب « عين الشمس » . وكان والدها من علماء فارس الذين نزحوا من بلادهم وأقاموا فى مكة . وكانت لما عرفها ابن العربى فى الرابعة عشرة من عمرها على كثير من العلم والمعرفة ، بليغة الخطابة ، جيدة الكلام ، بارعة الجمال . وقد لقيها أثناء إقامته بمكة عام ٥٩٨ أى غب رحلته من بلاد الأندلس. ثم نأى عن مكة زمناً حتى إذا عاد إليها سنة ٦١١ نظم فيها بعض القصائد فوصف جمالها الفتان وعلمها الواسع وذكر ما كان بينه وبينها من حب . ثم رأى بعد ذلك

أن يتبع هذا الديوان الصغير بشرح صوفي .

***

بعد بنا هذا جميعه عن ضريح ابن العربي وزيارته

وهنا يجب أن أذكر شيخنا التفتازاني رحمه الله . سألته مرة أين قبر ابن العربي؟ فقال بأسلوبه العذب الذي تذكره : كيف لا نعرف ضريح ابن العربي ؟ وكيف تزور دمشق ولا تزوره ؟ إنه فيها بعد « الجسر » وتصل إليه بخط ترام معروف باسمه « الشيخ محيي الدين » . ألم تقرأ في الشعراني قوله : « وقبر ابن عربي(١) في الشام ، وقد بنيت عليه قبة عظيمة وتكية وفيها طعام وخيرات » قلت ولكني أعرف أنه توفي بدمشق ولكنه نقل إلى جبل قاسيون ودفن بسفحه . قال : وقاسيون هو الجبل المطل على دمشق والذي بنيت في سفحه في شكل مدرج المدينة الجديدة والحي الذي يعرفونه اليوم باسم المهاجرين

وكان أني زرت دمشق بعد ذلك ولآخر مرة في صيف سنة ١٩٣٥ ، وأقمت فيها أياماً ضيفاً على أحد أقاربي ، ولما كان يقيم بالصالحية ، وهي في أول مرقى الجبل قبل المهاجرين ، كنا نركب الترام في الغدو والرواح . وهناك خطان أحدهما يعرف باسم « المهاجرين » ، والآخر باسم « الشيخ محيي الدين » . والحق أني كنت نسيت ابن العربي ووصية الشيخ التفتازاني . وساقني الفضول مرة فسألت قريبي من يكون الشيخ محيي الدين هذا . فقال : إنه عالم صوفي يعرف بابن العربي ، وأن له ضريحاً ومسجداً في آخر خط الترام فدعوه باسمه . وهنا تذكرت الماضي وقلت : أجل يجب أن نزوره

وبعد ظهر ذلك اليوم أقلتنا عربة أخذت ترق بنا الجبل حتى وصلنا إلى حيث المسجد بعد أن اجتزنا حياً وسوقاً تختلف أبنيتهما جدة وقدماً ، وأكثرها قديم . وكان جماعة من الفقراء يزدحمون بباب المسجد ؛ فإذا تجاوزت الباب استقبلك بهو واسع تتوسطه بركة ماء كبيرة ، وفي آخر البهو إلى الشمال الضريح ، وهي غرفة حسنة الاتساع طفت بها فإذا على حائطها كثير من الشعر المنقوش على رخام قائم في الحائط . وحاولت أن أقرأ بعض الشعر فوجدته باللغة التركية . وقبل أن أستطيع الإلمام ببقيته تقدم إلينا شيخ وقال : قد أزفت صلاة العصر فهلما نصلي ثم تتابعان زيارتكما بعد ذلك

ولا أذكر الآن كيف تخلصت من الشيخ ودعوته إلى الصلاة، ولكني وجدت وقتئذ أننا في موقف حرج لأني أجهل ماذا يكون شعوره لو عرف أننا مسيحيان . وأشرت إلى صاحبي أن من الخير أن نغادر المكان على أن نعود في فرصة أخرى أكثر ملاءمة من هذه ، فخرجنا . ولم تتح لي فرصة أخرى للعودة

***

كانت العربة تهبط من الجبل ، ونحن نستشرف تارة الحقول المنبسطة ، وأخرى دمشق بقبابها اللامعة ومآذنها العالية تتخللها الأشجار الباسقة وتكتنفها الرياض والبساتين ، ونستجلي هذا المنتشر في الأفق الخالي والطبيعة الساهمة والمدينة المنبسطة . وكنت لا أزل تحت تأثير زيارة الضريح أفكر في الأندلسي الذي طاف البلاد العربية فكان في كل مكان يحله كأنه بين أهله وإخوانه يتقرب إليه الناس ويجري عليه الحكام الأرزاق فيوزعها على الفقراء والمعوزين . أليس دينه الحب كما قال في أبياته التي ذكرها .

وهذا الجمال الذي نشرف عليه ونستجليه في هذه المناظر الخلابة ، أليس من صنع الله ، وما دام من صنعه فهل هو قائم فيه حقاً . وهل صحيح ما قاله ابن العربي « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » أو ما نظمه شعراً :

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فأنت الضيق الواسع

وذكرت هذه الفلسفة الشمولية التي نادى بها العربي والقائمة على مذهب وحدة الوجود . ولا عجب فقد كنت « مسافراً » على حد تعبير ابن العربي الذي قال إن « السفر » عبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى . ولاشيء أدعى إلى هذا التوجه مثل التأمل بجمال الطبيعة .

(١) كانوا في الغرب يلقبون الشيخ محيي الدين بابن « العربي » لأنه كان من أصل عربي قح ينتسب إلى حاتم الطائي ، وعند ما نزح إلى المشرق عرفوه فيه بابن « عربي » من غير أداة التعريف ، تمييزاً له عن القاضي أبي بكر بن العربي

وفهمت وقتئذ كيف شذ ابن العربي عن أشياع نظرية وحدة الوجود المادية فتوجه بها إلى عبادة الخالق والشعور بالافتقار إليه تعالى ، وهي عبادة الضعيف للقوى والفقير للغنى . وفهمت كيف أنه بالرغم من شعوره الديني الإسلامي العميق قال بوحدة الأديان لأنها جميعاً تدعو إلى عبادة الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات

والحق أننى اليوم وأنا أكتب إليك بين جدران حجرتى أجد من الصعب أن أذكر كل هذه الخواطر التى مرت بذهنى بينما كنت أنحدر من جبل « قاسيون » إلى دمشق .

***

وبعد فإنى أرجو ألا تجد فى هـذه الرسالة صورة كاملة لابن العربى ، ولـكنها خواطر جالت بفكرى عنـد ما أردت أن أنبهك إلى ضرورة زيارة ضريحه . وأنت تجد أنى لم أحدثك عن حياته وآرائه ومؤلفاته وما قام حول مذهبه من جـدل حمل بعضهم على رميه بالـكفر وما كان من أثره بين أهل الشرق والغرب وخاصة ما وجده المستشرق الإسبانى « ميجل اسين » من شبه بينه وبين « دانتى » فألف كتاباً قرر فيه أن الشاعر الإيطالى أخذ كثيراً عن المتصوف العربى وتأثر به فى نظم قصيدته الخالدة « الـكوميديا الإلهية » أو كما قال البحاثة الإنكليزى « ألفريد جيوم » إن ابن العربى كان من الذين « أخرجوا للناس النماذج المدهشة الأولى للـكوميديا الإلهية.»

على أننى لا أريد أن أختم رسالتى إليك قبل أن أروى لك قصـة ذات دلالة كبيرة على طريقة هؤلاء الصوفيين ومنازعهم الفكرية والتأملية . فقد رووا أن ابن العربى اجتمع بالشهاب السهروردى فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام . فقيل لابن العربى ما تقول فى السهروردى ؟ فقال : « مملوء سنة من قرنه إلى قدمه » وقيل للسهروردى ما تقول فى الشيخ محيى الدين ؟ فأجاب: « بحر حقائق »

ولعلك تكون يا أخى أكثر توفيقاً منى عنـد زيارة ضريح ابن العربى وأعمق شعوراً بما يطوف بك من جمال .

(الأسكندرية) صديق شيبوب

بطـــاقة ...

للدكتور محمد ناجى

بطاقة تحمل على صدرها اسم صاحبها مجرداً من أى لقب ، وخلوا من أى عنوان أو رقم تلفون ؛ وكأنى به لا يحمل لقباً ، ولا يعرف لنفسه عنواناً ، ولا يملك رقم تلفون ، ولم يمن الله عليه إلا ببضعة قروش ثمن بطاقته

مرت تلك البطاقة على ناظرى ، ثم جالت بخاطرى ، حتى شغلتنى عن أمرى ، فعجبت لها أيما عجب !

بطاقة فريدة فى نظمها ، عجيبة فى نثرها ، قليلة فى لفظها ، بحرت فى أمرها ، وضاق بى تفسيرها ، ولم أدر ما شأنها ومن يكون حاملها ؟

إنها تخالف بطاقات العصر ، هى فى واد والعصر فى واد . بطاقات العصر تحمل من الألقاب والعنوانات والأرقام ما ليس لها ومالها، كأن الشيطان أوحى لها، حتى لا تدع موضعاً للقب جديد، أو زيادة لمستزيد ...

فمن يكون هذا الذى يخالف العصر فى بطاقاته، ويبز أبا العجب فى نزعاته ؟ إنه محمد طلعت حرب . ذلك الرجل المتواضع حتى فى بطاقته ، ولو شاء أن يسطر اسمه وألقابه وعنواناته وتلفوناته لـكانت بطاقته كتاباً

إن بطاقته تحمل فى نفسها أدب الإعلان عن النفس ، إنها لحكمة بالغة ، تسيطر على الحس والنظر والفؤاد ، إذ لها فى كل قلب مستقر وفى كل واد أثر . هذه هى البطاقة التى بزت الزمن وعلمت المصرى ما لم يكن يعلم . إنها تذكرة القدر ، وإنها لإحدى العبر ، فطوبى لمن قرأ وادكر ، وعرف قدر نفسه واعتبر ...

محمد ناجى
عضو القومسيون الطبي العام

عقيدة الزعامة في النازية

للدكتور جواد علي

لا تفهم وجهة نظر الوطنية الاشتراكية للعالم إلا إذا اطلع المرء على عقيدة الزعامة Füherrers chaft التي هي الأصل الأول من أصول المذهب النازي والعمود الذي ترتكز عليه جميع تعاليم الحزب ونظرياته . فلا تتساهل المؤسسات المختارية أبداً أمام المتساهل بهذه العقيدة أو الكافر بها . لذلك سخرت جميع ما تملكه من وسائل في سبيل تأييدها وحض الناس على الاعتقاد بها . وطهرت السياسة والعلم والفن والصناعة — على حد تعبير الوطنية الاشتراكية — من جميع الأدران التي تراها تصطدم مع هذا الإيمان المطلق . ولم تتساهل حتى مع أكبر الأساتذة الذين لم تجد منهم ميلاً أو تأييداً في القول أو الفعل

وعقيدة الزعامة هذه تنحصر في زعامتين : الزعامة الفردية ، والزعامة العنصرية ، أو الأممية . ومتى عرفت هاتين الزعامتين اتضح لك سبب تهجم هتلر على الماركسية والماسونية واليهودية ، وكل فكرة أو نظرية علمية أممية . أما الزعامة الفردية فتستند إلى قاعدة أن الأفراد ليسوا في الاستعداد على حد سواء . وكذلك في المؤهلات العقلية والإنتاجية . فهنالك درجات كل درجة أرقى من التي تحتها ؛ وهكذا ترتقي الدرجات حتى تصل إلى درجة زعيم فوهرر Führer ، وهو زعيم الزعماء، إذ أن كل فرد بالنظر إلى من هو أدنى منه عقلاً أو جسماً أو أضعف منه إرادة زعيم مفترض الطاعة . وعلى حسب هذه الدرجات تتوزع كذلك المسئولية والوظيفة والواجب . وهذه المواهب والقابليات موهوبة فطرية لا تكتسب بعلم ولا يحصل عليها بتهذيب أو درس[1] Angeboren . والزعيم الأكبر الذي يتولى قيادة الشعب العامة هو الذي يكيف الشعب حسب إرادته وروحه Geist und wille ويضع الخطط العامة . ولا بد لهذا الزعيم من مؤهلات روحية تميزه عن أفراد شعبه ، وقوى خارقة ممتازة من أهم صفاتها الإرادة والشجاعة والخيال والتفكير والخطابة والمقدرة السياسية والتضحية والإنتاج[1]

هذه الصفات كما ذكرنا فطرية مجبولة في الشخص ، فالزعيم يولد زعيماً وتظهر عليه المؤهلات ، ولكي تنمو فيه هذه المؤهلات وتينع وتمنع من الانحطاط لابد من العناية بتربية الأفراد خصوصاً الطبقة الصالحة منها للقيادة التي تمتاز بمميزات جسمية كطول القامة والاتزان وحدة النظر مع الهدوء وتحمل المشقات؛ ولا يسمح لذلك بالزواج إلا بعد الفحص الطبي والتحقق من سلامة الزوج والزوجة من الأمراض الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية كالإدمان على الشرب واللصوصية وغيرها . وهناك مدارس صارمة للزعامة يدخلها من يريد الانخراط في سلك الزعماء على اختلاف درجاته لها أنظمة شديدة ، ومن هذه الطبقة تنشأ طبقة خاصة هي طبقة الأشراف، أشراف المستقبل الذين يقودون الجيل الجديد على طريقة فرسان الجرمان القدماء[2]

أما الزعامة العنصرية أو الأممية فتتلخص في أن الأمم ليست متساوية كذلك في القابليات والإنتاج؛ وهي فطرية كذلك كما هي في الأفراد. والشعوب الآرية في نظر الوطنية الاشتراكية هي الشعوب المنتجة وحدها، وكل حضارة في العالم أو مدنية هي من صنعة هذا الجنس ، وهذا ما يدعو طبعاً إلى قلب التاريخ ظهراً على عقب وإلى كتابة تاريخ عالمي جديد . لذلك حاربت النظرية المادية في التاريخ وهي نظرية كارل ماركس Karl Marx وزميله أنكلز Fr. Engels و A Bebel بيبل وهي النظرية المعروفة بـ Äkonomische Materialismus القائلة بأن التاريخ أو التطور البشري نتيجة من نتائج التطور الاقتصادي ، وكذلك نظرية Oswald Spengler الناصة على وجود حضارات بشرية مختلفة ، فهنا لك حضارة بابلية وهناك حضارة مصرية، وهناك حضارة صينية ، وهنا لك حضارة عربية . كما أن هناك حضارة ألمانية أو حضارة انكليزية ، ولكل حضارة من هذه الحضارات نفسية خاصة (أنظر كتابه المشهور سقوط الغرب) وكذلك نظريات الكتاب الأحرار الذين يرون

(١) أنظر كتاب Helmut Nicolai, Der Staat im Nationalsozialistischen Weltbild ص ٣٧.

(١) أنظر لزيادة الاطلاع كتاب كفاحي Mein Kampf ص ٦٥٠ وكذلك ص ٦٦١ ص ٨٩ وغيرها Hitlers Wollen, Werner Siebarth ص ٢٦٤ و ٢٦٧ Dietrich Klagges, Geschichts Unterricht ص ١٤٢ A. Rosenberg. Der mythus ١٩٣٠ في مختلف فصوله

(٢) لقد جمع الوزير والتر داريه Walter Darre في كتابه Neuodd aus Blut Und Boden جميع الآراء الجديدة حول إنشاء هذا الجيل الجديد .

العالم ككتلة واحدة والمبادئ التي نشأت من الثورة الفرنسية

إن فكرة الزعامة العنصرية هذه ليست فكرة هتلر بمعنى أنه هو الذي ابتدعها وكوّنها ، بل هي فكرة عالية قديمة كانت لدى اليونان إذ كانوا يحتقرون الشعوب الأخرى ولا يعترفون لها بالإنتاج؛ وكانت كذلك لدى الرومان والعرب، وظهرت في العصر الإسلامي باسم الشعوبية وهي حركة كانت ضد العرب ؛ وكانت لدى الأمم الأخرى، والحركة المعادية للسامية قديمة أيضاً حتى أن لوثر المصلح الديني العظيم في ألمانيا كان من الذين يكرهون اليهود . ولكن تلك الفكرة لم تطبع بالطابع العلمي وتصبح عقيدة كما أصبحت في ألمانيا اليوم . وأشهر الذين نادوا بالزعامة العنصرية قبل هتلر هم الألماني Klemm (١٨٠٢ — ١٨٦٧) الذي بحث عن الشعوب الفعالة وانتشارها على الكرة الأرضية واعتقد بأن الشعوب الهندو آرية هي الشعوب المنتجة وحدها . وكذلك الفرنسي المشهور Graf Gobineau كراف كوبينو (١٨١٦ — ١٨٨٢) في كتابه Essai sur L'inégalité des races humaines وقد توصل إلى نتيجة تفوّق العنصر الجرماني على جميع العناصر ؛ ثم الكاتب الفيلسوف الشهير هوستن شامبرلن Houston Stewart Chamberlin (١٨٥٥ — ١٩٢٨) في كتابه Grumdlagen des 19 Iahrhunderts وهو إنكليزي الأصل ألماني الثقافة صديق الموسيقي الشهير ريشارد واكنر المعروف بكرهه لليهود أيضاً. وكان شامبرلن هذا يكره اليهود وحاول في كتابه بعث ألمانيا من جديد إثبات أن العنصر السامي هو عنصر غير منتج. ولأفكاره أعظم أثر في شخصية هتلر وآرائه. وقد زاره مراراً، وتعتبر كتبه من أهم الكتب التي كونت الوطنية الاشتراكية بجنب كتاب كفاحي Mein Kampf ويرى من خلال دراسته المصبوغة بطابعه الجرماني الخاص أن الشعب الجرماني وحده له حق القيادة والزعامة إذ هو الشعب المنتج على الإطلاق، وأن اليهودية والشعوب السامية لم تنتج شيئاً وما أنتجته هو نتيجة العقلية الآرية فقط

كانت فكرة العنصرية قد توسعت منذ عهد بسمارك إذ أطلقت لليهود، لأسباب سياسية، الحرية المدنية وسمح لهم بالتوظف في الدولة من دون قيد ولا شرط . فازداد بذلك العداء وتوسعت الفكرة العنصرية ولا سيما بعد الحرب العظمى، وظهر مختلف الكتاب الذين شنوا الغارة على اليهود كالأستاذ أدولف بارتلز المشهور بكتابه « تاريخ الأدب الألماني » على الطريقة العنصرية ، والبروفسور لدويك شيمان Prof. Luduig Schemann والبروفسور كنتر Prof. Hans Güntter وغيرهم ، وأخذوا في دراسة العنصرية من جميع أوجهها متخذين للموضوع قواعد وأسساً وأدوات ، وقد ساعدتهم الوطنية الاشتراكية طبعاً بكل قواها ، وأسست معاهد للعنصرية في الجامعات والمستشفيات وجميع المؤسسات الشعبية . وظهر في عالم الدروس الجامعية فرع خاص يسمى باسم مبحث الأجناس Rassenkunde . وقد كيفت النازية السياسة والعلم والفن والرأي العام على هذا الاتجاه، إذ يرى هتلر أن مصدر كل بلاء نزل على ألمانيا هو إهمالها العنصرية وتصاهرها مع اليهود الذين أضروا بالأخلاق والتقاليد الجرمانية الوروثة ، وكذلك المسيحية اليهودية التي لا تمثل إلا أخلاق اليهود . وهذه كانت نظرية الفيلسوف نيتشه الذي كان يصف الأخلاق المسيحية بأخلاق العبيد، وكذلك شامبرلن وغيرهما. لذلك أكره هتلر جميع العلماء والمؤسسات العلمية على تطبيق هذه النظرية ، وقاوم كل نظرية تدعو إلى الأممية وإلى المساواة بين الشعوب . ومثله في ذلك عقيدة الزعامة حيث صور الشعوب كالهرم أيضاً ، قاعدته متسعة يضم في أسفله الشعوب الزنجية والأقوام الابتدائية، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى القمة حيث هناك الشعوب الجرمانية الألمان والسكاندناويين والداغارك، وفي قمة هذا الهرم تماماً تكون ألمانيا. (أنظر كتاب Dietrich Klagges Geschicbts Unterricht ص ١٤٠) وهكذا طبق هتلر عقيدة الزعامة الفردية على الزعامة الأممية، فكما أن هتلر هو زعيم الألمان الذي يجب أن يطاع لما له من مواهب الزعامة الموهوبة الفطرية[1] فكذلك يريد أن يجعل شعبه في قمة الزعامة الأممية التي لا يرتقي إلى مصافها شعب

كان من الطبيعي أن يعاني العلم والفن من جراء هذه النظرية مصاعب شتى ولا سيما العلوم العقلية منها كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم التربية والسياسة والاقتصاد وخصوصاً التاريخ الذي يعتني به هتلر عناية خاصة، وخصص له عدة صحائف في كتابه كفاحي لأنه يرى في التاريخ خير درس وعبرة للأفراد والشعوب على الطريقة التاريخية القديمة التي تنسب إلى المؤرخ اليوناني توكيديس Thukydides (٤٦٠ — ٤٠٠ ق . م) والمعروفة في التاريخ باسم Pragmatische Geschichte أو التاريخ التعليمي . وبما أن الطريقة العلمية في مثل

(١) يذكر Heinry Marr في كتابه Die massenwelt ص 452 وما بعدها بعض المعجزات التي كانت لهتلر عند اجداء أمره منها، إعادة البصر إلى امرأة عمياء بمجرد مرور هتلر أمامها

هذه الموضوعات حرة وآراء الأساتذة مختلفة طليقة تكره التحيز والتعصب ، لذلك كانت مهمة العلماء فى مثل هذه الموضوعات صعبة جداً. والنتيجة المنطقية لذلك كانت إحجام الكثير منهم عن التأليف وتبيان آرائهم بصراحة ، وإجهاد الفكر لإيجاد براهين جديدة لتحقيق نظرية الزعامة وقلب العلم رأساً على عقب . ولو تصور القارئ مثلاً أن علم التاريخ حسب هذه النظرية يجب أن يقلب رأساً على عقب تماماً عرف صعوبة المهمة الشاقة ونظر العلماء الأجانب إلى أمثال هذه الآراء . فالنظرية النازية الجديدة فى التاريخ ترى أنه من الكفر الابتداء منذ اليوم بالتاريخ القديم بممالك الشرق الأدنى كالمصريين والبابليين والأشوريين، بل ترى فى ذلك الخطأ الفادح لأن من عقيدتها أن الحضارة الجرمانية أساس الحضارات، ومن الجرمان أخذت الشعوب الشرقية حضارتها مستدلة بذلك على نظريات الهجرة، وتوسع السكان الذى جرى ولا يزال يجرى إلى الآن، وعلى حفريات تقوم بها المؤسسات الألمانية ثم تحكم هى بنفسها على تقدير أعمار المكتشفات الأثرية وقدمها. ولا شك أن ذلك مما يسخر منه علماء الأقطار الأوربية الأخرى ولا يدينون به ، وكذلك علماء ألمانيا أنفسهم، ولكن السياسة طبعاً هى التى تتغلب الآن على العلم[1]

يقسم علماء التاريخ اليوم فى ألمانيا العالم إلى قسمين : شعوب سياسية تنشئ التاريخ وتكونه وهى الشعوب الجرمانية طبعاً ، وشعوب غير سياسية وهى التى لا تلعب دوراً فى التاريخ ولا فى السياسة بل يلعب بها وهى الشعوب السامية والزنجية وغيرها[2] . ويصرح هتلر بهذه الفكرة فى كتابه كفاحى، ويرى فضلاً عن ذلك أن التاريخ هو محصول الأفراد لا الشعوب، أى أن الزعماء هم الذين يكونون التاريخ لا الجماعة، إذ الجماعة تساق فتنساق وتؤمر فتطيع[3] ومن أجل ذلك أمر بكتابة تاريخ جديد، وأنشأ تاريخاً عاماً للعالم يستند إلى أساس العنصرية فيبدأ بالجرمان وبالشعوب الأوربية السياسية المكونة للتاريخ وينتهى بالشعوب التى لم تلعب دوراً فى السياسة، فتفحص فحصاً من جديد، وكل ما وجد فيها من حضارة يسند إلى الآرية كما فعل الفريد دوزنبرك فى كتابه « خرافة القرن العشرين » Der Myttus des 20 Iahrhunderts فى الفصل الذى كتبه عن الحضارة العربية الإسلامية

وكان من جراء هذه النظرية تعديل الكتب التاريخية ومناهج البحث ووضع قواعد ثابتة للتاريخ وفق القيم النازية ، ولقد لخصها الوزير الألمانى ديترش كلاكس فى كتابه تعليم التاريخ Geschichts Unterricht بما يأتى :

إن الحياة كفاح ، والشعوب ليست بشيء أبداً دون زعيم ، والشعب هو مستقبل الفرد ، والمواطنين يرتبط بعضهم ببعض فى السراء والضراء على قاعدة العنصرية والدم، وكل خائن عقابه القتل. يموت الفرد ويبقى الشعب ، ولكن الشعب يجب أن يكون خالصاً نقياً كما أن الدولة يجب أن تكون نقية ذات عنصر واحد . ولكى تعيش هذه الشعوب تحتاج إلى قوى وجهاد وأسلحة وعتاد إذ بدونها لا تعيش الأمم . وبين هذه الأمم اختلاف فى العقل والجسم، وفى مقدمة هذه الأمم الأمة الألمانية؛ لذلك فإن كل من ينادى بالأممية وبالتطور البشرى وبحقوق الشعوب يجب عقابه عقاب مفتر كذاب، إذ أن الطبيعة البشرية تناقض ذلك. والشعب السعيد هو الذى يخضع لزعيم مطاع . والعنصرية هى مفتاح تاريخ العالم . (أنظر ص ١٤١ — ١٤٣) .

هذه هى نظرية الوطنية الاشتراكية وعقيدتها التى تتمسك بها وكل ما يتعارض مع هذه العقيدة ينظر إليه نظر المسلم إلى الكفر والإلحاد. لذلك فالماسونية والشيوعية والديمقراطية والأديان العالمية التى تساوى بين الشعوب والأفكار الأممية كلها آراء فاسدة تتعارض حسب نظرها مع الطبيعة البشرية والتاريخ . هذه هى فلسفة النازية ، من أدرك شكل هذا الهرم الذى يمثل الزعامتين عرف المذهب تماماً وأدرك سبب كره هتلر للمبادئ المذكورة . ولعل فى نفسية هتلر وقسوة العالم الخارجى بعد الحرب العظمى على ألمانيا هى الباعث على تطرف الألمانية الوطنية هذه

مراد على
خريج جامعة هامبرج بالمانيا

(١) لمعرفة التفاصيل أنظر كتاب Geschichts Unterricht لمؤلفه Dietrich Klagges

(٢) أنظر كذلك نفس الكتاب وكتاب كفاحى وكتاب خرافة القرن العشرين لروزنبرك وكتاب مايريده هتلر لمؤلفه Werner Siebarth

(٣) أنظر كتاب أدولف هتلر مربى الألمان لمؤلفه هوبر Höper

من نار الفراق

أنا ... وأنتِ !...

[لم يبق لى بعد اليوم فى الدنيا أمل ، فاذا لاحت فى أفقك شماعة من رجاء فأتنى بها قبل المصير !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جُرْحانِ ظَلاَّ فى سَعيرِ الزَّمانْ
لا يَهدآنْ !
وغُنْوَتا حبٍّ بنايِ الهوانْ
مَذْبوحتانْ !
وقَطْرتا دَمْعٍ بوادى الحنانْ
غِرْبيدتانْ !
أذْراهُما فى تَوْبةٍ عابدانْ
مُسْتغفِرانْ !
يا ربُّ أنّ لِشَريدِ الجنانْ
طَيْفُ الأمانْ !

***

بَيْتانِ مِنْ شِعْرٍ سَقاهُ الحنينْ
كأسَ العَذابْ !
مَلاَّ صَدَى الدُّنيا ونَجْوَى السِّنينْ
فوق التُّرابْ . . !
وَحِينَ لاحَ الشَّطُّ غابَ السَّفِينْ
خَلْفَ الضَّبابْ !
فَلَمْ تَزَلْ كَفُّ الأَسى والْجُنُونْ
تَشْقِ الرَّبابْ !
وَلَمْ نَزَلْ نَشْدُو ... وَشَدْوُ الحزينْ
رُؤْيا خَرابْ !!

***

فَرْخانِ فى أُفْقِ الهوَى حائِرانْ
حَوْلَ الرِّياح !
ماتَتْ أغانِينا بِظِلِّ الجِنانْ
قَبْلَ الصَّباح !
وَحَطَّم السَّاقِى بَقايا الدِّنانْ
فَوْقَ الجِراحْ !
لَقَدْ سَقَيْنا حُبَّنا يا زَمانْ
نارَ الكِفاحْ !
نَخْلَنا ... إنّا لِطُولِ الْهَوانْ
عِفْنا النُّواحْ !!

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

أنشودة وفاء النيـــل

للأستاذ محمد فتح الباب

البحْرُ زَادْ عَمَّ البِلادْ
والخَيْرُ جادْ كلَّ العِبادْ
إلى الحَصادْ البَحْرُ زادْ

***

مِصْرُ يا مصرَنا افرحى فَرْحةَ الطَّيْرِ بالرِّياضْ
أنتِ يا كلَّ مطمحى هِبَةُ النِّيلِ يومَ فاضْ
امرحى اليوم وامرحى نيلنا يَمْلأُ الحِياضْ
البحـــر زاد . . .
مِصرُنا زينةُ الأُمَمْ حَسْبُها النيل والهَرَمْ
أُمَّةُ السيف والقَلَمْ رَبَّةُ المجد مِنْ قِدَمْ
نِيلُها كلُّهُ عَجَبْ يَجمعُ الأُنسَ والطرَبْ
ماؤه يَحملُ الذَّهبْ وشِفاءٌ لِمَنْ شَرِبْ
البحـــر زاد . . .
نِيلٌ وَفى لَيْلةَ الصَّفاء والنيل منْ دَأْبهِ الوَفاء
والغِيدُ فى خُضرةٍ وماء كالحُورِ فى جنَّةِ السَّماء
فَيضٌ غَزِيرْ عذبُ النَّميرْ
لَهُ خَريرْ مِثلُ الزَّئيرْ
نِيلٌ جميلْ كالسلْسبيلْ
لَمَّا يَسِيلْ بينَ النخيلْ
البحـــر زاد . . .
يا نيلُ عن مجدنا الأثيلْ خَبِّر وعن بأْسِنا الطويلْ
آثارُنا تعجز العقولْ شهود حقٍّ لنا عُدُولْ
زهرٌ من «اللوتس» البليل فى حُسْنِهِ ما لهُ مثيلْ

يرنو إلى الشمس كالخليل · يرنو إلى الخل في الرحيل
يطفو على سطحك الجميل · تاجاً على مفرق نبيل

البحر زاد ...

يا نيل أسلوبك الحكيم · يعلو على القول والكلام
بفيضك المصلح العميم · يا نيل زر مصر كل عام
فإنها جنة النعيم · لولاك لم يسقها غمام
وحى فاروقها العظيم · وانشر على أهلها السلام

البحر زاد ...

آمنت بالله والكتاب · وأن في خلقه عبر
الحب بالماء في التراب · أضحى نباتاً له ثمر
أحلى من الشهد والرضاب · والحب من قبل كان مُرّ
الحب بالماء في التراب · يصير من أكرم الزهر
أنى له ذلك الخضاب · ونفحه الطيب العطر
آمنت بالله والكتاب · النيل من روح مقتدر

(القناطر الخيرية) · محمد فتح الباب

ظمئت...

للأستاذ صالح الحامد العلوي

ظمئت إلى الجداول حيث تجري · مدردرة كألواح اللجين!
عليها الطير تمرح شاديات · على إيقاعها في الشاطئين!
ظمئت إلى الخمائل زاهرات · براها الله بهجة كل عين
بها الأزهار تضحك لاهيات · تهدهدها النعامى باليدين!
ظمئت إلى النسيم يهب رهواً · كوصل الخل وافى بعد بين
يداعبني فيلثمني دلالاً · وينشر فوق وجهي خصلتين!
ظمئت لمن أراه حياة روحي · وحبة مهجتي وسواد عيني!
ومن رفت معاني الحسن فيه · فكاد يطير من لطف وزين!
ومن في كل لحظ منه سر · أموت به وأحيا مرتين!
ومن هو من مزايا الحسن كون · حوى من كل لون جنتين!
ظمئت إلى الجمال بكل معنى · عرى عن كل بهرجة ومين!
ظمئت ... وماعسى يجدي فتيلاً · «ظمئت»؟ ولو لقيت بذاك حيني
أما من حاكم أشكو إليه؟ · فينصف بين أيامي وبيني
فكم زادت على ظما ـ فؤادي · كأن لدى ثارات الحسين!

(حضرموت — سيئون.) · صالح الحامد العلوي

وحي المرماد

لا تقولي نسيت ...

[إلى الحالمة في أحضان النعيم ... إليها في رأس البر ...]

للأديب عبد العليم عيسى

صرخ الناي في يدي .. فتعالي · قبل أن تنهب الليالي لحونه
ويح قلبي إذا غضبت عليه · وتجاهلت صوته وأنينه
من له .. آه .. من لأنغامه السود إذا شبت الليالي شجونه
أسعديه على الحياة .. وردي · نغماتي إلى حياتي الحزينه
لا تقولي نسيت يا أخت روحي · أنت تدرين ما مضى وتعينه
كيف تنسين يوم سرنا إلى النيل وهمنا على الضفاف الأمينه؟!
والدجى مسبل علينا ستاراً · كشفته لحوننا المكنونه
رقص البحر حين سرنا على الشط وغنت أمواجه المفتونه
وهفت حولنا العصافير نشوى · طربات ... سعيدة ... مجنونه
فتمليت فتنة الحسن والنور وهومت كالطيور الحنونه
واحتضنت العود الحبيب إلى النفس وأسكرتني بما تنشدينه:

صلواتي أنت في الدنيا وأعراسي وفني
وسعاداتي وصفوي، وتسابيحي ولحني
أنت في قلبي ينبوع من الخلد يغني
فجر الله على وجهك ما يمسح حزني
فتغنيت مع الأطيار ما يسعد كوني
ليتنا نحيا على الشط ... تغني وأغني

وشجاك الهوى فنمت على صدري الدمى في خشعة وسكينه
وعلى وجهك الجميل شعاعات أثارت مستوره ودفينه
فبعثت الأنغام تسري مع الليل فتروي أشباحه المسجونه
ثم لما أفاق من نومه الفجر وأهوى عن راحتيه دجونه
قلت: يا شاعري الحبيب ترفق · بفؤاد أهجت فيه حنينه
خذ ذراعي إلى ذراعك وانهض · قبل أن يفتح الصباح عيونه

لا تقولي نسيت يا أخت روحي · أنت تدرين ما مضى وتمينه
أسرعي قبل أن تموت ألا حيني وتردى قيثارتي المحزونه
فتصيري حكاية الغدر في الدنيا وأقصوصة الغرام الخئونه

(دمياط) · عبد العليم عيسى



دراسات في الفن :

«ضيعت مستقبل حياتي !»

وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ مات

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

مات ولم يمكث في الأرض إلا واحداً وثلاثين عاماً . ولكنه قضاها كلها حياً ، بل لقد كان يستعير مما له في الخلد ليالي وأياماً فأنهكته الحياة : أضنت منه الروح والبدن فانطفأ وهو في أشد اشتعاله وسطوعه

١ — بين الربوة والبحر

طفل، والطفولة صفاء. وفقير، والفقر نقاء. وعزيز، والعزة وفاء

كان هكذا منذ عرفته الحياة، وظل هكذا إلى أن غادر الحياة : طفلاً ، فقيراً ، عزيزاً لم يذل إلا لله في الحب والغناء

ويا طول ماذل ! فقد غنى منذ أحبّ ، وقد أحب منذ أحس ، وقد أحس منذ أمنت أمه أن تطلقه في ربوة « كوم الدكة » يرتع ويلعب مع الصبيان والبنات . فكان يجمعهم ويقوم بينهم على حجر يقرأ القرآن ويرتل الألحان ، فإذا أخلصوا له الإصغاء أخلص لهم الإنشاد ... ولم يكن أحد من هذا الجمع الحالم يدري لمن كان يغني هذا النشوان الضاحك إلا هو وتلك الصغيرة الطاهرة التي كانت تهفو إليه بروحها متلمسة فيه ما لم تكن تجده عند غيره من آيات الصدق ومن آيات الذكاء

وكان إذا افتقدها استوحش ربوته وأهلها، وفر إلى شاطئ البحر يكمن عند صخرة من صخور « السلسلة » يأخذ عن اليم معنى اللين إذا هدأ ، ومعنى الثورة إذا اهتاج ، ومعنى الكفاح إذا تصارعت فيه الأمواج ، ويسرح بالطرف في آفاقه التي من بعدها آفاق ، كأنه يستدرج الغيب من ورائها أن يستشفه لعله يرى في إطار منه الصورتين اللتين كان يحب أن ترتبطا ... فكان يرى ما يشاء ، أو لم يكن يرى شيئاً ... ولكنه كان يسمع ، وكان إذا عاد إلى ربوته تغنى بما سمع ...

وكان يكره أن يعود من حجته إلى البحر خالي اليد ، فكان يحمل « إليها » من البحر محارة أو صدفة يرفعها إليها في صمت كأنما يؤكد لها أنه ما نسيها ولا غفل عنها إذ نأت وغابت . وكانت هي تقبل منه هديته الفقيرة الرخيصة والله وحده يعلم أكانت تقبلها حباً ، أم كانت تقبلها إغراء

٢ — الطعنة الأولى

وفي يوم طار إليها بمحارة عجب ، فإذا هي تصده ، بل وتحمل إليه ما جمعته من محاره وصدفه وتمد إليه به يدها وهي تقول : « منعتني أمي من قبول هدايا الصبيان ! ... »

ولو لم يكن يرى أمها تستميل إليها من أبناء الجيران صبياً مات أبوه عن ثروة ، ما أحزنه هذا الصد وما أشقاه ... ولكن الذي أدمى قلبه هو أن أدرك للمرة الأولى أن هناك فرقاً بين الأغنياء والفقراء . وأن هذا الفرق ملحوظ مرعى دون غيره من الفروق .

فحمل محاره وصدفه ، وغسل بدمعه آيات غروره وجهله ، ودفن المحار والصدف تحت عتبة مسجد سيدي « حذيفة » ... ثم دخل المسجد وتوضأ وصلى صلاة الجنازة على أمله

٣ — الشيخ ...

وحسبوه من كثرة لزومه للمسجد ولياً من أولياء الله . وقد كان ولياً من أولياء الله . فوهبوه لكتاب الله . وألبسوه عمامة وجبة وقفطاناً ، وأرسلوه إلى معهد الأسكندرية وعرفته « كوم الدكة » منذ ذلك الحين باسم الشيخ السيسي ... لأنه كان

صغيراً ، وكان عجيباً فى عمامته وجبته وقفطانه ...

ولم يتأب هو على هذه «الشيخوخة» التى عاجلته، وإنما كان يجد فيها متعة ولهواً محببين ، فقد يسرت له الحفظ والتجويد ، والقراءة والغناء ... وظل فى « شيخوخته » هذه طفلاً كما كان يجمع حوله الفتيان والفتيات ويقوم بينهم على حجر أو كرسى عريض من خشب يمدح النبى ، ويرثى الحسين !

٤ – مبيض الجدران

وقد كان على أهل الحى أن يطلبوه فى أفراحهم ومآتمهم ، ولكنهم كانوا يطلبون غيره كلما اعتزموا أن يدفعوا أجراً ؛ أما هو فكانوا يتزاحمون حوله كلما قرأ أو غنى فى الطريق ، أو فى المقهى ، أو فى المسجد أو على الربوة ... يسمعونه ويحيونه ، ويتحدثون به القراء والمغنين ، ولكنهم لم يكونوا يملكون أن يستأجروه ، لأنه لم يكن ينطلق إلا بإرادته ، وبوحى من مزاجه ، فإذا أكره على الشدو ثقل الشدو على نفسه وعلى نفوس مستمعيه . . .

ولهذا كان إذا أراد أن يرتزق بيّض الجدران مع النقاشين والبنائين ... وأعجب ما كان منه أنه كان ينطلق عندئذ بالغناء أنيناً وشكاية ، أو بهجة واستبشاراً ، وكان من زملائه من يحمل عنه عمله راضياً مسروراً

٥ – فى الأوحال

ترعرع وترعرعت . وكانا يلتقيان . وقد كان يغنيها وكانت تستمع إليه . ولكنه كان قد طوى نفسه على عزمة ملكته : ألا يدنس الحب ، وأن يسلم أمره لله ...

وتزوجت هى ... وانهار هو ...

فهجر « كوم الدكة » إلى حى الرجس . وأدمن النساء ، وانكب على الخمر والمخدرات يتعجل الموت فلم يعد له فى الدنيا رجاء

وقيل إنه أحب ، وما أحب وإنما كان يبحث عن حب ، ولم يكن المحروق القلب ليحب بعد ما أكلت قلبه النار

ومن أعماق هذه الأقذار كان يتعالى صوت السيسى بألحان من وحى الطهر والعفة . كان يرسلها مع الدمع ونفحات الجحيم المتأجج بين جنبيه فكان فيها تطهير نفسه ونفوس هؤلاء الذين كانوا يترددون فى الخطيئة حوله ، ويترددون عليه كأنه التوبة أو الصلاة .

٦ – وهج الروح

وإلى جانب هذا الحب ، وإلى جانب هذا اليأس ، كانت حرب وكانت ثورة ، واندلعت فى هذا الأتون المستعر روح الشيخ السيسى

وكان قد عاد من الشام بعد رحلة بائسة اصطحب فيها ممثلاً سوريًّا أراد أن يتحف به أهل وطنه ولكنهما أخفقا معاً .

وكان السيسى قد جرب نفسه مرة فى القاهرة فى مسرح الشيخ سلامة حجازى فثار عليه الجمهور وأرغمه على أن يتوارى خلف الستار قبل أن يتم غناءه فواساه الشيخ سلامة بأن خرج للناس وقال لهم : أحسنوا الاستماع إليه فهو الذى سيخلفنى

ولكن الناس لم يحسنوا الاستماع إليه لأن غناءه لم يكن يشبه ما اعتادوه ، وإنما كانت روح طلقة هبت من الشمال

وكان كل فشل مما لاقاه يزيده إيماناً بنفسه ومقدرته حتى واتاه الفشل الأخير ، إذ لحن « فيروز شاه » لجورج أبيض فاندك جورج أبيض وبرز سيد درويش

وعرفه عندئذ نجيب الريحانى ، فأفسح له مسرحه منبراً يلقى من فوقه ما شاء من آيات فنه

وأخذ بعدئذ نجمه يسمد ، ويصعد ، ويصعد ... حتى جاء وقت لم يتغن فيه مصرى بلحن إلا كان من غناء سيد درويش

كان ربحه يصل أحياناً إلى ألف جنيه فى الشهر ، وفى هذه الأحيان كان يقترض القروش والملاليم

قل إنه مجنون ! قل إنه سخيف ! قل ما شئت ؛ أما هو فكان محروماً من شىء لا يمكن أن يشترى بالمال وكان هو يحاول أن يستعيض عنه بما يشترى ويباع .

٧ – شاعر

ولم يكن سيد مغنياً فقط ، وإنما كان شاعراً أيضاً . . . وما كان فى وسعه إلا أن يكون كذلك . فإن الذى بعثه على الغناء إحساس كان يخالجه ولم يكن يستطيع أن يعبر عنه إلا بالغناء ، ولم يكن يستطيع أن ينتظر معه أن يبحث عن شاعر من الشعراء أو نظام من النظامين ليقول له إنى أحسست الحب على وجه من الوجوه ، أو أحسست اللوعة على نحو من الأنحاء ، فصور لى هذا الإحساس بالكلام لأغنيه ... لم يكن يملك أن ينتظر كل هذا الانتظار وإنما كان يغنى ما يريد عند ما يحس أية عاطفة أو أية نزعة هو سكران مترنح ... وقد حددت له صاحبته موعداً ،

وذهب إليها فتصدى له من يمنعه عنها ، وهى معركة بينه وبين عذاله ، فإذا حال بينه وبينهم أصدقاء له وأبعدوه عن الموقعة ، ثم بدأوا يلومونه على سكره وعربدته غناهم :

وانا مالى هى اللى قالت لى ... روح اسكر وتعالى البهلى

وهو جالس عند صديق له صائغ وتهبط عليهما غانيته مسرفة فى التزين والتبرج ، وتراه ممسكا بعوده فتعابثه وتطلب منه «غنوة» فما أسرعه إلى إنشاده ...

الأستيك على صدرك بِضوي ... ونا قلبى مِتْعلّق ساعة

ويصطدم بذات المحار والصدف فيتقارآن السلام ويتماتبان وأعصابه ترتج وأنفاسه تضطرب فما تبرحه وما تنقضى ليلة أو ليلتان حتى تسمع البلد كلها تغنى من لحن سيد :

زرونى كل سنه مرّه ... حرام تنسونى بالمره

ويناضب إحدى صويحباته فيكيدها بغنائه :

يوم تركت الحب كانْ لى ... فى مجال الأنس جانب

والتقيت المجد عادْ لى ... بعد ما كانْ عنى غايب

ولم يكن سيد يعبأ بأن يكون كلامه موزوناً أو مستوفياً لشروط الشعر وشروط صحته ، فما كان يعرف إلا أنه يغنى ، وكان غناؤه سليما !

٨ — تلحينه

وعلى الرغم من المجد العظيم الذى أتيح له ، فقد كان يرى نفسه جاهلاً بالفن وأصوله . ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يتعلم الموسيقى على أحد ، فقد خرج إلى الحياة وألفى نفسه يغنى ، ثم عرف أن للغناء قواعد وأصولاً ، فراح يحصل منها ما يتاح له ، ولكنه لم يتح له أن يروى غليله من علومها وفنونها ، فكانت أمنيته الكبرى أن يتيسر له السفر إلى إيطاليا ليتعلم الموسيقى ...

ولست أدرى ما الذى كان يريد أن يتعلم سيد ؟

ربما كان يريد أن يدرس أسلوب الغرب فى صناعة الموسيقى . أما الفن ، فأنا مؤمن بأن سيداً لم ينكب بزء أسود من نسبته إلى مصر ، فلو قد كان إيطالياً ، أو من شعب متقدم ، لكنا نسمع اليوم ألحانه عن طريق السينما ، وعلى اعتبار أنها معجزات من الغرب !

وهنا فى مصر يحال بين ألحانه وبين المعهد الملكى للموسيقى الشرقية ... لأن هذا المعهد لا يعترف بموسيقى المسرح ، أو لأن حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا الموظف فى وزارة الأوقاف ومدير معهد الموسيقى والمنصوب له تمثال على حياة عينيه فى حوش المعهد ، والذى لم يسمع له إنسان لحناً أو أغنية — قال له الأستاذ عزيز عثمان : إن ألحان سيد درويش « هلس » ...

والحق أنه صراع بين ذوقين فنيين : ذوق القاهرة القديمة ، وذوق الإسكندرية الحديثة . أما ذوق القاهرة فيمثله مصطفى بك رضا وأبناء محمد عثمان . وألحان القاهرة كما يعرف الجمهور هى هذه الألحان الصابرة الناعسة النائمة الخانعة ، التى كان يقصد بها قصداً أن تغنى فى الأفراح والليالى الملاح التى يقيمها البيكوات والباشاوات ، وقد كان محمد عثمان أبرز المغنين فى هذا النوع ، وكانت موسيقاه المخمورة هى الرائجة فى عصر النوم والسهر ...

أما ذوق الإسكندرية فغير هذا ... ذوقها هو الظاهر فى موسيقى سيد ، هو هذه الحياة المنغمة ، وهذه المواطف الملحنة التى نفثها سيد درويش فى مصر ، والتى أخذها عنه من بعده زكريا أحمد فوفق ، ومحمد عبد الوهاب فانحرف بها إلى تقليد الموسيقى الغربية لأنه حسبها تقليداً واقتباساً كما قرأ فى المجلات ، وهى بعد ذلك أساس المذهب الحديث الذى يقلده ملحنو اليوم !

واليوم وزير المعارف هو معالى النقراشى باشا الإسكندرانى ووكيلها هو صاحب العزة السنهورى بك الإسكندرانى ...

ألا نستطيع أن نأمل فى إحياء موسيقى سيد درويش على أيديهما ؟ إننا نرجو هذا ما دام لهما ذوق فنى ناضج حى ، وإن لهما هذا الذوق

عزيز أحمد فهمى



لحظات الالهام
في تاريخ العلم
تاليف مريون فلورنس لانسنغ

٣ - عصر النار

فى الأيام الخالية وكانت الدنيا لا تزال فى شبابها كان — كما علمنا — يقيم فى واد شرق عدن شاب اسمه « توبال قابيل » وهو حفيد ذلك الرجل الذى عاش على الأرض أكثر مما عمر أى رجل آخر وهو متوشالح

ذهب توبال قابيل إلى الجبال ليكون صياد قبيلته لأنه أوفر رجالها جسماً وأوفاها قوة . وكان يستطيع لقوته أن يرمى الرمية فيصيب بسنانه المصنوع من الحجر المنحوت أى وحش يريد قتله. وكان كذلك حاد البصر سريع الحركة فى وسعه أن يرى أى مخلوق يختبئ فى الغابة ويتبعه فى سرعة مطارداً إياه عند الهرب

وقد عرف توبال قابيل سر النار وصنع النار وكان ذلك السر مجهولاً من قبيلته منذ أجيال . وكان رجل من أهل الشمال لقنه سرها ، وكان هذا الرجل وقبيلته قد قبسوا من نار البرق الذى مصدره السماء فاحتفظوا بذلك القبس حتى عرفوا فى النهاية كيف يصنعونها بأنفسهم ، وذلك باستدعاء روح النار الكامنة فى أخشاب الغابة التى يقيمون بها . وكان توبال قابيل يصنع بالنار ما يصنع بالسحر فهو فى الليلة الباردة يعيد الدفء باستخراج الألهوب الأحمر من الخشب وبتغذيته بالهشيم الذى يجمعه أثناء النهار، وقد وجد أن الوحوش المفترسة تخاف من روح النار فتهرب وأن الوحوش لا تزعج نومه ما دامت النار بالقرب منه ترعاه

وفى يوم شديد البرد جمع توبال قابيل مقداراً عظيما من الغصون الجافة والخشب الجزل وسلط عليها الروح الحمراء لتأكلها لأنه كان شديد التألم من البرد فقد كان طول هذا اليوم فى الجبال يطارد نمراً عظيما ، وكانت الريح شمالية عنيفة باردة فاستشعر البرد حتى كاد يسرى فى عظامه

حبس من أجل ذلك بجانب النار ، ولما تأمل فى قرارها رأى منظراً أعجب من كل ما رآه من قبل : رأى صخرة كانت فى وسط الألهوب ، قد تحول لونها إلى الاحمرار ، وبدأت على حين فجأة تذوب . وكانت كلما اشتدت حرارة النار خرج من الصخرة الذائبة سائل ذائب كالماء الملوث بالطين حين يهم بالتدفق ، ثم التفت أثناء جريها ، وتحولت إلى ما يشبه حية سوداء هاربة من النار التى أخرجت من الصخر هذه المادة الغريبة .



إشعال النار بغير ثقاب كما كان يشعلها الماويون من عهد بعيد

لم يعرف توبال قابيل ما هو هذا السائل ، ولكن هذه أول مرة رأى فيها الحديد أى إنسان على الأرض ، فإن هذا السائل النارى لما جرى واستبرد أصبح معدناً ثميناً كان من قبل مختبئاً فى الخام الصخرى .

وانقضت أسابيع وشهور بعد رؤية هذا السائل المتدفق من الصخرة ، وقد قضى هذه المدة فى جمع الصخور المماثلة لما رآه من جوانب الجبل ، وكان يجلب لها ناره ليرى هل هذه الصخور ستذوب أيضاً ؟ فوجد أن بعضها الآخر أخرج نقاطاً لامعة متوهجة تتحول فيما بعد إلى معدن أرق هو الذى نعرفه باسم النحاس وكان يجرى تجربته فى كل قطعة من الحجر الذى جربه أولاً

ويراقب ما يصير إليه أمرها حين تبترد ليعرف إلى أي شكل تتحول

وفى أحد الأيام ، حاول أن يصوغ المعدن فى أثناء حرارته وابترادِه ، فطاوعه المعدن وتمكن من طرقه وتحديد طرفه كالسنان الذى يصنعه من الحجر .

وعند خروجه للصيد للمرة التالية رأى وحشاً يقبل نحو كهف فى الجبل الذى يقيم فيه فرماه بسنانه الحديدى الجديد وأصابه السنان فى جبهته وقتله للحال

وكان هذا أول سلاح معدنى صنع فى العالم؛ ورأى توبال قابيل أن فى وسعه صنع أسلحة أخرى من هذه المادة الجديدة التى يمكن طرقها عند الحد أكثر مما تطرق الأحجار والفلزات التى يقضى فى نحتها ساعات طويلة متعبة

ولم يقل شيئاً عن هذا السر للصيادين الآخرين الذين كانوا يأتون أحياناً إلى موطنه فى الجبال ولا لسكان الوادى ؛ ولكن الجميع دهشوا من وفرة قوته ومن حذقه الصيد لأنه كان يأتى بصيد أكثر مما يأتى به أى اثنين مجتمعين فى هذه الجهة الجبلية .

وكان أجدى على سكان الوادى من اثنين كذلك لحمايته إياهم من غارة الوحوش الضارية ؛ ولكنه أفضى إلى جده متوشالح باستكشافه الغريب وأراه كل أنواع الأسنة والأسلحة المحددة والآلات الحادة التى صنعها وصاغها بإحمائها وسكبها فى حفر وأخاديد فى الصخر أثناء خروجها حارة من النار وتركها حتى تبرد فتتجمد ويمكن عند ذلك طرقها

وكان متوشالح فى نهاية حياته عندما أقبل عليه توبال ؛ ولكن حكمته كانت تزداد على مدى الأيام . وكان ثاقب الفكر سريع الخاطر كجده الأصغر فأخذ القطع الغريبة من الحديد الأسود الذى جاء به توبال قابيل والقطع الساطعة من النحاس ووازن بين ثقليهما فى يده وحاول اختبارهما بكل الأساليب، وأخبر توبال بأن هذا سر عجيب جداً مكتوم عن سائر العالم وأنه يجب أن يدرس هذه الصخور وأن يستمر فى العمل بها وأن يتعلم كل الذى يستطيع تعلمه وأن يستعد لإشراك إخوانه الصيادين جميعاً وأهل قرابته هذه المعرفة ونشرها فى أرجاء العالم

وعاد توبال قابيل إلى الجبال وأنشأ لنفسه مكاناً للنار أو فرناً ليحبس فيه روح النار ويستبقيها فى خدمته ، وأرسل كل الصيادين ليأتوا إليه بالأحجار من النوع الذى يذوب . وتعلم صنع قوالب من الطين يضع فيها المعادن الحارة . وليتمكن من إدخال الهواء تحت القدر صنع نوعاً من المنافيخ وصنع أسلحة لكل الصيادين وللذين يتولون حراسة أهل الوادى

وكان الرجال يأتون من الأماكن البعيدة ومن الأماكن القريبة ليتعلموا فن توبال قابيل فى صنع المعادن . وعلمهم وهو مسرور كل ما عرفه من الأسرار وكل الفنون التى كان يستفيدها من يوم إلى يوم

وكان الذى تعلمه خدمة لكل الناس لأنه كيف يمكن أن يعيش أهل الأرض وأن يفتنوا ما لم يتشاركوا – لمصلحة الجميع – فيما يستكشفه أى رجل أو فيما تصنعه أية قبيلة ؟

تعلم كيف يحذق صنع الحديد ولم يكتف بأن يصنع الأسلحة للحرب بل صنع نصلاً ثقيلاً معقوفاً يستطيع الإنسان أن يحفر به الأرض اللينة قبل أن يلقى بها البذور ، وأن يصنع نصلاً طويلاً وهو الذى نسميه الآن باسم المحراث . وبه استطاع أن يخط على الأرض خطوطاً طويلة يغرس فيها الحب

وصنع آلات أخرى كثيرة ، واشتهر أمره فى جهات بعيدة عن واديه، وعن الوديان المجاورة للجبال التى يقيم بينها، لا بل ذاع صيته عبر الأنهار وعلى حدود البحر الكبير، وذاع اسم توبال قابيل صانع كل سلاح قاطع ومنته بذبابة حادة ، وأستاذ كل رجل يعنى العمل فى النحاس أو الحديد أو أية مادة تسيل من الصخور . وكذلك دُوِّن فى الكتب القديمة كما يستطيع أن يتبين من يريد

وكذلك أصبح عصر النار عصراً للمعدن أيضاً . ولا نزال نعيش فى هذا العصر إلى اليوم

ومهما تكن الطريقة التى عرف بها الناس سر النار للمرة الأولى ، فإننا نعلم أنهم عرفوها قبل أن يكون للعالم تاريخ مكتوب وأنهم عرفوا أيضاً سر المعدن المخبوء فى الأرض .

ولما عرف كيف يصنعه ، وكيف يصوغه بواسطة النار فإنه بذلك قد بدأ يسير فى طريق المدنية ، وسنظل متتبعين رحلته فى هذا الطريق على مدى القرون .

(يتبع) ع . ا.

من هنا ومن هناك

ألمانيا بعد سقوط هتلر

[عن « جوتبرج هاندل » السويدية]

لا يستطيع الباحث المدقق فى حالة ألمانيا أن يحكم إذا كان ذلك النظام الذى أقامه هتلر سينهار بقيام حرب عالميـة ، أو أن سيدركه الفناء تحت تأثير عوامل وأزمات داخلية ، يثيرها تدهور الحالة المالية والاقتصادية بها ومهما تكن الأحوال . فإن الدوائر السياسية العليمة فى أوربا ، أصبحت تعتقد أن سقوط النظام الهتلرى سيكون فى خلال سنة ١٩٤٠ . فإذا كان الأمر كذلك فيحق للانسان أن يسأل كيف تكون ألمانيا بعد هتلر ؟

لقد احتاطت الدعاية الألمانية لهذا السؤال ، ونشرت ما شاء لها الهوى من الأقاويل بين العامة والخاصة معلنة أن سقوط هتلر يتبعه قيام البلشفية فى ألمانيا . وهذا خطر تهون إلى جانبه كل الأخطار . وقد تمسك بعض الناس بالنظام القائم فى ألمانيا الآن باعتباره أخف الضررين . على أن الدوائر الاقتصادية المطلعة والأوساط الدينية تقرر أن نظام ستالين ونظام هتلر لا يختلفان

والنازية لا تجد لها سنداً فى خارج ألمانيا إلا فى بعض الدوائر التى ترى أن البلشفية تعم ألمانيا بعد هتلر ، ومن ثم يختل النظام وتنهار الدنية فى غرب أوربا تحت تأثير هذه الكارثة الخطيرة .

ولـكن هل فى الحق أن ألمانيا مهددة بخطر الاشتراكية ؟

إننا نستطيع أن نقرر فى غير تردد أن ألمانيا على وجه العموم أقل انخداعاً بالماركسية من أى دولة من دول أوربا . وإن كان بعض قصيرى النظر يعتقدون أن الماركسية قد تنتشر فى ألمـانيا كرد فعل للنظام النازى

إن ألمانيا ولا شك ستكون عرضة لانقلاب قوى شديد كرد فعل للنظام الذى تحكم به الآن فتلك سنة الطبيعة ، ولكن هذا الانقلاب سينحو ولا شك ناحية مناقضة لهذا النظام . ولكن الاشتراكية ليست الناحية المناقضة للنازية بحال من الأحوال ... إن ألمانيا التى تتبرم بالهتلرية السمراء ، لا تشوقها دكتاتورية البلشفية الحمراء . فالألمان يعرفون ما هو الضغط على حرية الفكر والاعتقاد تحت ظل الحكومة الآرية ، ويبغضون من أعماق قلوبهم ضياع الحرية ومصادرة العقائد والأفكار فى ظل نظام محو الطبقات

فماذا تكون إذن بعد سقوط هتلر ؟ ستكون هناك أمة ألمانية يستمتع شعبها بحريته وحقوقه الاجتماعية ، وتندمج روحه والروح الأوربية . وسيكون قوامها العمال والفلاحون والأعيان والموظفون والضباط وأساتذة الجامعات

ستكون ألمانيا بعد هتلر أمة يسوسها خيرة من رجال الجيش والعمال والفلاحين والمدنيين وفى مقدمة هؤلاء جميعاً الشباب الناهض

ستكون إذن ألمانيا التى قهرت الفاشية والبلشفية

وستكون وتظل جزءاً مسئولاً فى أوربا الحديثة

أين يسكن هتلر ؟

[عن مجلة « تورنتو ستار »]

منذ اثنى عشر عاماً كتب هتلر مؤلفاً عن الأعمال التى يقوم بها وكيف تثنى له أن يقوم بها ، وأسمى هذا الكتاب « كفاحى » بيع منه ١١٠٠٠٠٠٠ نسخة بلغت أرباحها مليوناً من الجنيهات . وقد بنى هتلر من هذه الأموال مساكنه الجديدة ، وإنها لمساكن على جانب من الأبهة والعظمة

ومن المأثور عن هتلر أنه قال فى حديث له : « ليس من العار أن يقتات الألمان بالعشب ما دامت ألمانيا تعانى ما تعانى من الشقاء » ولـكن هتلر لم يأكل العشب ولم يسكن فى بيوت من القصب ، فبنى القصور الفاخرة على قمم الجبال ، وشاد لنفسه الدور المؤثثة بأنفر الرياش

ومن غريب ما جاء على لسانه وهو يفتتح دار المستشارية الجديدة منذ أسابيع : «إنى ما زلت كما كنت فيما مضى ولا أريد

أن أكون غير ذلك . إن منزلي يماثل بالضبط المنزل الذي كنت أسكنه من قبل وسيظل كذلك »

إنه في هذا يتكلم عن مسكنه الخاص في ميونيخ ، ولكنه لم يقل شيئاً عن القصور التي بناها فوق قمم الجبال حيث يخلو إلى نفسه

فعلى ناحية من جبال الألب البافارية على بعد بضعة أميال مما كنا نسميه النمسا تقع قرية برخستجادن الجميلة ، وعلى جانب من الجبل يرى قصر برجوف — مسكن هتلر — المحبوب . وقد كان هذا القصر مسكناً جبلياً بسيطاً فأعاد بناءه هتلر على طراز لا يحلم به أصحاب الملايين . وهو يقضي في هذا المنزل فسحة آخر الأسبوع في غالب الأحيان ، فينتقل بالطيارة من برلين إلى ميونخ ومن ميونخ تقله سيارة سوداء سريعة السير إلى مسكنه الفاخر

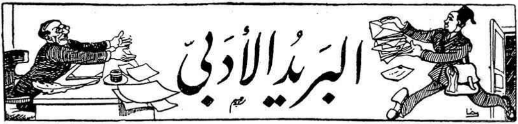
ويقوم على حراسة هذا القصر قوة كبيرة وأسلحة واستعدادات عظيمة لا يقوم مثلها على حراسة بنك انجلترا ، وهو محاط في الليل والنهار بحصار شديد من الجند الأشداء .

وقد أقيم في الصخرة الصماء التي شيد عليها هذا القصر خندق حصين تحيط به قوة من الدفعية المضادة للطيارات تحميه وقت الهجوم . على أنه محاط بأبواب عظيمة من الفولاذ تجعله محجوباً عن الأنظار ولا يتثنى لأي زائر أن يقترب من هذه الأبواب دون إذن كتابي من البوليس السري

ولا يسمح لصحيفة ألمانية أن تذكر ما طرأ على هذا القصر من التجديد فهو لا زال في نظر الألمانيين ذلك الكوخ الجبلي الصغير .

ويقال إن حجرة الجلوس في هذا القصر من أفخر الحجر التي رأتها العيون . وهي تحتوي على نافذة واحدة ولهذه النافذة صفحة من الزجاج ارتفاعها عشرة أقدام وطولها ٢٨ قدماً ولعلها أكبر نافذة في العالم . ومن هذه النافذة يطل هتلر ومن عسى أن يكون معه من الضيوف على مناظر جبال الألب الخلابة

ولعل أكبر متعة تصبو إليها نفس الفوهرر ، هي أن يجلس إلى هذه النافذة ويمتع النظر فيما حوله من الوديان المخضلة النبات ، بينما يعزف أحد أصدقائه بعض مقطوعات من موسيقى واجنر على البيانو على بضعة أمتار



المجمع والدكتور أحمد بك عيسى

كتبت في العدد الأسبق من الرسالة كلمة عن المجمع اللغوي قلت فيها – اعتماداً على ما رواه لي الدكتور أحمد بك عيسى – أن المجمع أهمل كتابه «المحكم في أصول الألفاظ العامية» ولمته على هذا

وقد بين لي صديقي الأديب الكبير الأستاذ الشيخ عبدالعزيز البشري (مراقب المجمع) أن اللوم في غير محله، وأن لجنة اللهجات العامية راجعت الكتاب وفحصته، وأن الدكتور عيسى بك نفسه حضر بعض اجتماعاتها، ووافق على ما اقترحته من زيادة «في مصر» على اسم الكتاب

وقرأ لي الأستاذ البشري كتابين بعث بهما باسم المجمع إلى وزارة المعارف يطلب في أولهما من الوزارة طبع الكتاب لتعميم فائدته، ويطلب في الثاني توزيعه على مكتبات المدارس

ويتضح من هذا أن المجمع لم يقصر ولم يهمل، وإذا كان لم يطبع الكتاب فذلك لأن المجمع لا مال له لطبع الكتب، ومطبوعاته هو تتولاها وزارة المعارف . .

ومن الإنصاف للمجمع أن أعلن هذه الحقائق التي تفضل الأستاذ البشري باطلاعي عليها . ومن واجبي أن أشكر الصديق وأن أعتذر للمجمع وإن كان الذنب لغيري .

ابرهيم عبد القادر المازني

صححوا هذين البيتين

يكثر استشهاد الخطباء والكتاب بقول شوقي :

في العلم تطّغن العقو ... ل وليس تطّغن الصدور

وكذلك ينطقون «تطغن» بالغين المعجمة في الصدر والعجز وهو صحيح في العجز ومحرف في الصدر . والصواب :

في العلم تطّعِنُ العقو ... ل وليس تطّغن الصدور

فنقرأ «تطعن» في صدر البيت بالعين المهملة من الطعن، ونقرأ «تطغن» في عجز البيت بالغين المعجمة من الضغن وهو الحقد

ومعنى البيت أن العلماء قد يتحاربون ولكنهم لا يتباغضون وشوقي لا يريد غير ذلك، وإنما نُشر البيت محرفاً ولم يفطن من يستشهدون به إلى ما وقع فيه من تحريف .

والقصيدة التي فيها «يا جارة الوادي» مطلعها هذا البيت :

شيمتُ أحلامي بطرف باك ... ولمحت من طرق الملاح شباكي

والناس يقرأون «لمحت» ، وهي كذلك في الجزء الثاني من الشوقيات ، وقد نُشر في حياة شوقي ، ونقلها بعض المؤلفين عن نسخة الديوان بدون تصحيح ، وأنشدها بعض الأدباء في محطة الإذاعة بدون تصحيح !

و «لمحتُ» فيها تحريف ، والصواب «لممتُ» بلام وميمين من اللمّ وهو الطي ، وما أحسب شوقي يريد غير ذلك .

فأرجو القراء أن يصححوا هذين البيتين إن راقهم هذا التصحيح .

زكي مبارك

سؤال عن الربا

ذكرني السؤال الذي وجهه الأستاذ علي الطنطاوي إلى (المفكرين) من علماء المسلمين بسؤال كنت بعثت به إلى فقيد الإسلام المرحوم الأستاذ الإمام رشيد رضا في موضوع الربا بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ ، وقد أجابني بجواب مختصر أحالني فيه — كعادته — على مجلة المنار. فإذا كان في الرسالة الغراء متسع لنشر هذا السؤال ، تعضيداً لسؤال الأستاذ علي الطنطاوي فها هو ذا :

حضرة الأستاذ العلامة ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وهنا قدمت بمقدمة شرحت فيها سوء حالة فلسطين الاقتصادية التي أوقعت فيها قسراً ثم قلت)

فرأى المخلصون من رجال الاقتصاد أن خير وسيلة لإنقاذ الفلاحين من هذا الشقاء ، ولتخليص البلاد من شره اليهود ، هي إنشاء بنك زراعي عربي بأموال العرب يعقد قروضاً زراعية للفلاحين برباً قليل إلى وقت طويل . ويقدم إليهم آلات زراعية حديثة ، إلى غير ذلك من الوسائل التي تخلصهم من ظلم المرابين ، وتوسع عليهم ، وتحفزهم للعمل والتثمير حسب الأصول الحديثة ، فتجلب الخير والمنفعة ، وتغنيهم عن بيع أراضيهم لليهود

والمسئول عنه الآن : هل يكون ديننا الحنيف في هذه المعضلة الاجتماعية كشأنه في سائر المعضلات سمحاً سهلاً يتمشى مع المصلحة ، وينطبق على ما تقتضيه نظم العصر الحاضر ، فيجد الناظر فيه رأياً لا يخالف القرآن الكريم ، ولا يصادم السنة الشريفة ، يجيز أمثال هذه المعاملات (المصرفية) من عقد قروض بربا قليل لا يضر بمصلحة الآخذ ويفيد المعطي ، لا سيما أنه يؤخذ من ظاهر بعض الآيات ، ويؤخذ من حالة العرب قبل الإسلام في مداينتهم بالربا ، أن المقصود بالنهي الربا الفاحش الذي يؤدي إلى خراب بيت المدين كما حصل ويحصل مع كثير ممن لو تداينوا بربا قليل لوفوا ديونهم وعادوا سيرتهم الأولى من السعة والغنى .

وهـذا الربا الفاحش هو ربا الجاهلية (وربا الجاهلية موضوع) وهو (الأضعاف المضاعفة) وبه يحصل التقاطع والتباغض بين الناس . أما الربا الخفيف فلعله يكون من أسباب المودة بين المتداينين

ثم ألا يجد الناظر في الدين حرجاً بناء على هذا — إذا صح — أن يحمل الآيات الشريفة المحرمة للربا على الربا المعهود (أي ربا الجاهلية ، وهو الربا الفاحش) ويحمل الأحاديث على هذا المحمل . وتبقى الحكمة في عدم التحديد حث الناس على التعامل بالقروض المجانية تنزها عن شبهة الربا ، ليكون ذلك أدعى للتآلف والتعارف ؟

وإذا أبى نص حديث — والنص من الراوي — هذا المحمل ، أفلا نتركه ؟ إذ لا يصح أن تقف أحاديث الآحاد في وجه المنفعة والعمران وتقدم المسلمين ؛ والعمران وتقدم المسلمين وقوتهم يغلب على الظن أنها مقصد من مقاصد الدين حتى يكون الدين كله لله

أقول : هل يجد الناظر في الدين رأياً كذلك ؟ فإن كان فالرجا أن تفصلوا علله وأسبابه وأدلته ، وإن لم يكن هناك ما يساعد على هذا الرأي فأرجو بيان ذلك مع الحكمة أيضاً وهل هناك إجماع يكون خرقه كفراً على تحريم الربا مطلقاً قليله وكثيره ؟ أم لا يكفر المتأول ، ومن يأخذ بالظاهر ؟ أفتونا ...

وهذا جواب الإمام رشيد رضا رحمه الله بحروفه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : إن من الأرهاق لي أن أكلف أن أجيب عن الأسئلة التي تأتيني من أنحاء العالم في مكتوبات خاصة مع أن ما ينشر منها في المنار لإفادة الجميع قد عجزنا عن الإجابة عنه كله . ومن المعلوم لكل مسلم أن البنوك كلها فيها ربا وأن الربا محرم ولكن في بعض أعمالها وشركاتها ما ليس كذلك . ونحن ننشر في المنار بحثاً طويلاً سيصدر بعد إتمامه في كتاب مستقل والسلام .

رشيد

ولم أطلع على ما نشر في المنار ، كما لم أعلم أتم البحث وصدر في كتاب مستقل أم لا ؟

فعلى من يستطيع الحصول على المنار أن يرشدنا إلى ذلك .

(سائل)

كلمة أخيرة في نعيم الآخرة

أطال الأستاذ محمود علي قراعة في الاستشهاد بأقوال بعض العلماء والصوفية وفلاسفة الأخلاق ، وملأ أربع صفحات من الرسالة الغراء (العدد ٣٢١) ليثبت أن لذة الروح أرق من لذة الجسم حتى يتسنى أن يثبت أن نعيم الآخرة روحي . وأنا لا أنكر أن لذة الروح أرق من لذة الجسم ، ولا أحتاج عليه إلى دليل من كلام أحد ، وأرى الأمر أهون من أن يحتفل به هذا الاحتفال ما دام الله تعالى لم يكلفنا — بعد الإيمان بالآخرة والجزاء فيها — أن نعلم نوع هذا الجزاء أهو حسي أم روحي

على أن جميع ما أتى به الأستاذ — ومثله معه ، إن كان من نوعه طبعاً — لا يجدي شيئاً في تأييد دعواه . وأما دعوانا فهي واضحة جلية أعجب كيف يكابر فيها وهي تستند إلى هذه الأمور المسلمات :

١ — إن جميع النعم الحسية التي ذكرت في القرآن الكريم كالمأكولات والمشروبات والأزواج[1] ورؤية الله تعالى ، هي

(١) مسألة الولدان التي ذكرها الأستاذ قراعة ، ونقل فيها أقوالا من رد المحتار في العدد ٣١٥ وأشار إليها في العدد ٣٢١ من الرسالة ، لم تذكر في القرآن الكريم للمعنى الذي فهمه منها أصحاب الأقوال المشار إليها في رد المحتار ، بل صريح القرآن أن هؤلاء الولدان للخدمة (يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين . الآيات) فيقتصر على ما ورد في كتاب الله ولا سيما في الأمور السمعية .

حسية حقيقة لا مجازاً ، وإن كانت على غير ما نتصوره فى الدنيا؛ فالتفاح والرمان مثلاً هو تفاح ورمان ، وإن كان من الجودة بحيث لا نعلم .

٢ — أجسامنا فى الآخرة — كيفما كان الرأى فى إعادتها — هى أجسام ، وإن كانت على نشأة أخرى كما تقتضى إرادة ربنا تعالى

٣ — ما دامت النعم الحسية لا تتغير أسماؤها هناك ، ومادامت الأجسام لا تصير أرواحاً هناك ، فإدراك الأجسام لتلك النعم إدراك حسى ، وإن كانت حسيته بحسب قابلية الجسم فى ذلك الوقت

فإذا سُلّم هذا — وهو مسلم — يُبرهن على دعوانا بقياس منطقى اقترانى من الضرب الأول من الشكل الأول ، تؤخذ مقدمتاه من هذه المسلمات ، فيقال :

(النعم فى الآخرة تدرك بالحواس الجسمية ؛ وكل ما يدرك بالحواس الجسمية فهو حسى ؛ فالنعم فى الآخرة حسية) . ونتيجة هذا القياس لا تنقض حتى تنقضَ المقدمات ، وهيهات .

وبعد فلا أظن الأستاذ قراءة يفهم من هذا أننا ننكر أن النعيم الحسى لا يتصل بالروح ، ولكن اتصاله بالروح لا يمنع أنه نعيم حسى . والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

داود حمدان

(فلسطين)

حول الوحدة الإسلامية والقومية العربية

كتب إلى فلسطينى فاضل يلومنى فى بعض فقرات من كلمتى المنشورة فى الرسالة الغراء عدد (٣٢٠) فقال : « إن قولى : (يقف المسيحى فى فلسطين فى جانب المسلم يدفعان معاً شر المتعصب المستعمر) يخالفه الواقع » وقال الفاضل : « وإن كانت تركيا وهى المسلمة لم تتحرك من أجل فلسطين فما ذاك إلا لأننا لا نعرف وحدة إسلامية اليوم ولا ندعو بها » . وقال أيضاً : « إن المستعمرين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقليات بأنها من صميم الأمة » . ثم يختم كتابه إلىّ بقوله : « ولعل رسالتى تخفف من غلوائك فى هذه الدعوة البريطانية »

فأود — قبل كل شىء — أن ألفت نظر الفاضل إلى أننى لم أزعم أن المسيحى السورى أو العراقى مثلاً هب يحمل السلاح للدفاع عن القضية العربية فى فلسطين ، وإنما قلت إن مسيحيى فلسطين يدافعون مع المسلمين ويحاربون عدوهم القوى ، وهو واجبهم فى الذود عن أرضهم وفى حماية أهليهم . ولعل الفاضل يعلم أن كثيراً من المسيحيين العرب وقفوا ألسنتهم وأقلامهم للدفاع عن فلسطين المجاهدة كالأساتذة الشعراء بشاره الخورى وحليم دموس والشاعر القروى : اللبنانيين ؛ والكتّاب أمين الغريب وكرم ملحم كرم ولبيب الرياشى ، وهم لبنانيون أيضاً . كما أن فى سورية وفى مصر وفى العراق مسيحين عرباً خلصا خدموا القضية الفلسطينية خدمات لا تنكر ولا تجحد

وأحب أن أناقش الفاضل فى قوله : « إن تركيا لم تحجم عن مساعدة فلسطين إلا لأننا لا نعرف الوحدة الإسلامية » فهل يريد الفاضل بالوحدة أن تتفق تركيا وإيران الدولتان المسلمتان القويتان مع العرب المسلمين المشتتين فى كل صقع والمحكوم أكثرهم من قبل الدول الأجنبية ؟ وهل هذا ممكن ؟ ثم لنفرض إمكان التحاق المسلمين العرب بهاتين الدولتين أو بإحداهما فهل يقبل العرب وهم كثيرو العدد ووافرو الثقافة أن ينضووا تحت لواء دولة صغيرة ؟ ثم هل يقبل الأتراك هذه المحالفة وهم يعرفون قوة العرب ووفرة عددهم ؟ وإذا قبلوا أفلا نعتقد أن العرب لا تكون كلمتهم هى العليا فى جانب تلك الدول القوية التى تخشى سيادة العرب وحكمها ؟ وهل من المنطق أو المعقول أن يكون العرب تبعاً لغيرهم وأن نذهب بقوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمرِ منكم» وقد قال بعض جهابذة المفسرين: المراد بقوله تعالى « منكم » تخصيص الأمة العربية . . .

أما قوله: «إن المستعمرين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقلية بأنها من صميم الأمة إلا إذا كانت قوية عزيزة الجانب » فيرده أن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى درجة من القوة والمنعة إذا وقف مسلمها فى جانب ومسيحيها فى جانب آخر

وكنت أحب ألا يفهم الفاضل عكس ما أردته فقد قال : « ولعل رسالتى تخفف من غلوائك فى هذه الدعوة البريطانية »

ولو كان الفاضل يعلم أننى كنت ولا أزال بحمد الله من مؤسسى القضايا الدفاعية عن فلسطين المقدسة وأننى نشرت عشرات المقالات وألقيت مئات الخطب فى سبيل هذه القضية المشرفة وأننى كدت أسجن مراراً من أجل هذا الواجب ، أقول لو علم الفاضل شيئاً من هذا لكتب بلسان العقل لا بوحى العاطفة

فليطمئن الفلسطينى الفاضل وليعلم أننا أشد منه غيرة على الإسلام ولكننا نحكم العقل فنجازى المحسن بما فعل ونقابل المسىء بما قدم .

(طرابلس) محمد على هلالى

جيرون وربوة في كتاب هبة الأيام

أورد البديعي في كتابه « هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام » قصيدة للعماد الأصبهاني يجاوب بها أبا الفتح التعاويذي في الصفحة ٢٧٧ وهي قصيدة طويلة مطلعها :

بأبي معتـــدل القا مة في عطفيـه نشوه

ومن أبياتها :

ما تسليني عن دجـــلة جيرون و « بروه »

هكذا أورده ناشر الكتاب الأستاذ الفاضل محمود مصطفى وعلق عليه بقوله : « لعل جيروناً وبروة اسما نهرين بدمشق » . وهذا عدم تحقيق من الأستاذ الفاضل

فإن بروة تحريف ظاهر لا يخفى على أديب باحث في اللغة العربية ، ولا يوجد نهر أوموضع بدمشق بهذا الاسم . وإنما هي ربوة وهو منتزه جميل وجنة غناء قرب دمشق ... قال ياقوت في معجم البلدان : ربوة بضم أوله وفتحه وكسره . إلى أن قال : بدمشق في لحف جبل على فرسخ منها موضع ليس في الدنيا أنزه منه لأنه في لحف جبل تحته سواء نهر بردى وهو مبنى على نهر توري وهو مسجد عال جداً وفي رأسه نهر يزيد الخ اه . وقيل : إنها دمشق نفسها ، ولكن المعروف إلى اليوم هو المكان المنتزه الجميل . وقد تغنى به أمير الشعراء المرحوم شوقي بك في قصيدة : « قم ناد جلق ... » فقال :

وربوة الواد في جلباب راقصة أالساق كاسية والنحر عريان

والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان

وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو أصباغ وألوان

أما جيرون فقد قيل إنها دمشق نفسها ، وقيل إنها حصن بدمشق أو بناء عظيم لبعض الكواكب الخ. قال في معجم البلدان هذا قولهم . والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون، وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح الخ

وجاء في الصفحة ٢٨٠ من القصيدة نفسها

وهو في الشعر وفي العلـ م كحسان وعروه

فعلق عليه الأستاذ بقوله : « حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله وأمره مشهور ، وعروة من شعراء العرب كثيرون ، فمنهم عروة بن حزام ومن شعره قوله في عفراء :

متى تكشفا عنى القميص تبينا بي الضر من عفراء يا فتيان

إذاً تريا لحماً قليلاً وأعظماً بلين وقلباً دائم الخفقان

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني. الخ

ومنهم عروة بن الورد الذي يسمى عروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم ويجمعهم ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. مع أن المراد هنا بعروة عروة بن الزبير بن العوام أحد فقهاء المدينة السبعة العالم المشهور، والمحدث الكبير تلميذ خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها المتخرج في مدرستها وهومشهورغني عن التعريف . وبيت العماد يقول : وهو في الشعر كحسان ، وفي العلم كعروة ، وهذا في البديع يا سيدي الأستاذ لف ونشر مرتب. وهذا الذي جعلنا نحمله هذا الحمل، والمعروف أن عروة بن حزام وعروة بن الورد وغيرهما من شعراء العرب لم يشتهر أحدهم بالعلم .

وإن الأستاذ محمود مصطفى ليشكر على مجهوده في هذا الكتاب وعلى إخراجه في هذا الثوب القشيب، وأرجو أن يتقبل مني هذا التعليق بقبول حسن .

ابراهيم بسيى القطانه

الشطر المسروق

سيدي صاحب الرسالة :

لقد قرأت في العدد (٣٢٠) من الرسالة الغراء قصيدة الأستاذ « العوضي الوكيل » فأعجبت بما فيها من المعاني الدقيقة والخيالات الرائعة ولكنا استوقف نظري هذا الشطر :

« أواه لو تنفع المحزون أواه »

فرجعت بالذاكرة إلى الماضي فتذكرت أنه مر علي منذ أربع سنوات في قصيدة للأستاذ « محمود غنيم » في العدد الممتاز من الرسالة من السنة الثالثة ص (٥٩١) تحت عنوان (مجد الإسلام — وقفة على طلل) وها هو ذا البيت بأكمله :

« لي فيك يا ليل آهات أرددها أواه لو أجدت المحزون أواه »

فرأيت الأستاذ (العوضي الوكيل) لم يغير في الشطر غير كلمة (أجدت) وأبدلها بكلمة (تنفع)

محمد ابراهيم شلتوت



نظرات فى كتاب :

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

للأديب خليل أحمد جلو

— ٢ —

لا شك أن ما روى الدكتور عن حياة امرىء القيس منسجم مطرد ، وهو حجة دامغة معقولة ، لو أن ما كتبه (وهو عين ما يدرسه طلاب الصف الثالث الثانوى) ، هو كل ما يروى فى الكتب ويُستنتج بعد المحاكمة ، ولو أنه صحيح ثابت ، ولكنه ناقص سقيم حين سمع الناس أن امرأ القيس شخصية خيالية ، وحين يعلم أن الرواة اختلفوا فى اسمه وكنيته وذريته : فهو حندج وهو قيس ، واسم أبيه عمرو واسم أبيه حجر ، واسم أمه فاطمة واسم أمه تملك ، وكنيته أبو لهب وكنيته أبو الحارث ، وأنه لم يكن له ولد ذكر ، وأنه يئد بناته جميعاً ، وأن له بنتاً يقال لها هند ، وأنها لم تكن بنته ، وإنما كانت بنت أبيه ، وأنه يعرف بالملك الضليل ، وأنه يعرف بذى القروح .

فكان عليك يا دكتور أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تسميه « منسجم مطرد » ، وما تستطيع أن تسميه حقاً أو شيئاً يشبه الحق ليجوز لك أن تسلم بوجود امرىء القيس وأن تقول : « إن ما روى عنه « لم يكن أكذوبة » من أكاذيب القصاص » .

أليس جديراً بكتاب يسمى « بعث الشعر الجاهلى » أن يستعرض ما ذكرت ، وزيادة عليه مما يشم منه رائحة الأساطير والأكاذيب ، ثم يعرض لها بالبحث والتحليل ، والاستقراء والاستنتاج ، والتعقل والمحاكمة ، لينسج منه المؤلف بحثاً يستطيع بعده أن يقول : قد بعث امرأ القيس حقاً ؟ ولكن الدكتور أغرق فى تجنب الآراء المتضاربة والاختلافات المتناقضة ، وما جرب أن يشطح وينطح ، وابتعد عن كل أناة وتثبت فيما نقض وأبرم . فهو يجحد جحوداً مطلقاً ، وينكر بغير حق شأنه فى التصديق ، ويروى ما يدعم مزاعمه ، ويغفل عما يدحضها ، وهذه خصال يتبرأ منها الباحث العلمى .

إذا أردت أن أنتهى من نقد طريقته السقيمة فى البحث فاسمح لى أن أحدثك يا قارئى عن برهانه على حقيقة نسبة « قفانبك » . وما هو برهانه ؟ لا يتجاوز ما يذكره فى ص ١٠ « أن القصيدة رويت فى القرن الثانى ، وأن كبار الرواة وثقاتهم كالمفضل الضبى وأبى عمرو بن العلاء والأصمعى أحياء لم يطعنوا فيها » . . . يظهر من هذا أن الدكتور مطمئن إلى ما يرويه هؤلاء كل الاطمئنان ، ولم ير حاجة فى الإطالة ، فقد جاء بالبرهان الناصع والدليل القاطع

هل يستطيع الدكتور أن يقول إن كل ما رواه هؤلاء صحيح سالم من التجريح ؟

لا شك أن هؤلاء ممن لم تفسد مروءتهم ولم يعرفوا بفسق ولا مجون ولا شعوبية ، والعجب أنهم قد كذبوا أيضاً وانتحلوا .

فأبو عمرو بن العلاء يعترف بأنه وضع على الأعشى بيتاً هو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويعترف الأصمعى بشىء من ذلك . ويقول اللاحق إن سيبويه سأله عن إعمال العرب « فَعِلا » فوضع له هذا البيت :

حذرٌ أموراً لا تضير وآمن ما ليس ينجيه من الأقدار

وهل من صفة البحاثة العلمى أن يقف جامد العقل إزاء ما يروى عمن عاشوا فى القرن الثانى مهما ابتعدوا عن السذاجة وفساد الذمة ؟

وإذا سلمنا جدلاً أن القصيدة من ناحية السند صحيحة، أليس يحسن به أن يمتحن صحة متنها؟ إنه لم يتكلف عناء ذلك في جميع ما روى من المعلقات

يا دكتور أن أكاذيب كثيرة حملت على الجاهليين ونسبت أحاديث خرافة لا تحصى إليهم في عهد الإسلام، وأضيفت مقادير وافرة من الأباطيل إلى تاريخ كل شعب وكل جيل، وحاشاك أن تجهل الافتعالات التي يمليها تضارب المصالح والأهواء ويقتضيها تطاحن الأفراد والجماعات، مما يجب ألا نتواطأ عليها بالسكوت والتسليم، فلا تحسب أنك حين نزهت بعض الرواة عن الاختلاق والكذب يحق لك أن تقول بكلام المنتصر الغالب: « إذن لنفرغ لدرس هذه القصيدة (ص ١٩)، فإن الباحث المنصف من شأنه أن يحتاط ويحترس من كل ما يروى، وليس من الصحيح أن تقول إن فلاناً مشهور بالصدق فيجب أن نأخذ عنه كل شيء على علاته مطمئنين راضين

هل تعرف عن « مدرسة الرأي » التي انتشرت في القرن الأول والثاني للهجرة التي كانت تشترط فيما يؤخذ به من حديث شروطاً لا يسلم معها إلا القليل، حتى غالى قوم فرأوا عدم الأخذ بالحديث بتاتاً؟

أليس جديراً بك يا دكتور أن تقف موقف « اللاأدريين » الذين شكوا في صحة الأحاديث ولم يكن بينهم وبين قائلها صلى الله عليه وسلم أكثر من قرنين؟ تذكر أنك في القرن الرابع عشر للهجرة، وأن الذي نرويه شعر وليس حديثاً لا يختلقه إلا من عرض نفسه لغضب الله وناره

يقول الدكتور (ص٩٢) « إني أحاول في هذا الفصل أن أثبت جاهلية المعلقات أو - المطولات السبع - ومتى تم لنا القول بأن هذه القصائد السبع جاهلية حقاً، فإننا نكون قد أنقذنا أمجد صفحات الشعر الجاهلي من الجحود والإنكار. ذلك لأن هذه المطولات أقوى وأجمل وأمتع ما وصل لنا من الشعر الجاهلي على الإطلاق »

إن الدكتور يريد أن يثبت « بالجملة »

هل تعلم ما هو السلاح الذي دافع به عن المعلقات حتى خيل إليه « أن القصائد السبع جاهلية حقاً »؟ إنك لا تعلم حتى أقول لك! إنه اقتصر على تبرئة حماد الراوية عن قولها لا غير!

ولكن كيف برّأه ودافع عنه دفاع المحامي المحرج البرهان والدامغ الحجة؟

إنه يقول (ص ٩٣) « إن حماداً يستطيع أن يقول البيت أو الأبيات القليلة من الشعر المبتذل وأن يدسها في شعر أحد الجاهليين ليدل بذلك على أنه أغزر علماً وأصدق رواية من غيره من الرواة، ولكنه لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية » ثم يقول إن شاعرية حماد لا تساعده « على وضع الشعر البليغ وإضافته إلى فحول الشعراء »

لا تطلب مني أن أضايق الرسالة بما روى عن حماد وبما يؤثر عنه من شعر جيد رصين، وفن في النظم فريد، وشيطنة في الانتحال عجيبة، وتقليد للشعراء يعجز عنه أعظم شاعر فحل؛ ويكفي أن أذكر أن أهل الكوفة مجمعون على أن أستاذهم في الرواية حماد: عنه أخذوا شعر العرب، وأنه شاعر مجيد يصل من التقليد والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما روى وينتحل

ويقول المفضل الضبي - والدكتور يثق به كل الثقة - إن حماداً قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً. فلما سئل عن ذلك: ألحن أم أخطأ؟ قال: ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟

ويحدثنا عنه محمد بن سلام - والدكتور لا يشك في روايته أيضاً - أنه دخل على بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فقال له بلال: ما أطرفتني شيئاً؟ فعاد إليه حماد فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مديح أبي موسى. قال بلال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة! والرواة أنفسهم يختلفون في قائلها فمنهم من يزعم أن الحطيئة قالها حقاً

وكان يونس بن حبيب يقول: العجب لمن يروى لحماد، كان يكسر ويلحن ويكذب

وثبت كذب حماد الراوية للمهدي فأمر حاجبه فأعلن في الناس أن يبطل رواية حماد

فهل صحيح يا دكتور ما تقوله من أنك قد « أحصيت ما عرف لحماد من الشعر، على أنه له، أو على أنه محمول على بعض

الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، فكان كله أربعة وعشرين بيتاً » ، وأن حماداً لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية ، وأنه لم يدس في الشعر غير البيت أو الأبيات القلائل ؟

وما لنا والإطالة ؟ فهل يشك أحد — غير الدكتور مهدي البصير — في أن حماداً كان يسرف في الرواية والتكثر منها ، وأن له في ذلك أخباراً لا يكاد يصدقها أحد ؟ فلم يكن يسأل عن شيء إلا عرفه ! وقد زعم للوليد بن يزيد أنه يستطيع أن يروي على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة لم يعرفهم من الشعراء . قالوا: وامتحنه الوليد حتى ضجر فوكل به من أتم امتحانه ثم أجازه

لا تظنوا مما حدثتكم به أني أريد أو أحاول أن أبدي رأياً في الشعر الجاهلي ، وإنما كل ما طمعت فيه أن أبين لكم أن الكتاب الذي بعث الشعر الجاهلي ، كما يخيل إلى صاحبه ، بريء مما يدعي أو يتخيل، وأنه خال من العمق، وهو سطحي كما يقولون. أو قولوا إنه شرح لمعاني المعلقات على أنها آيات منزلات أكثر منه محاولة لبعث الشعر الجاهلي ، وهو قائم على الإبهام والتضليل لمن لم يؤت نصيباً من الأدب ، وعلى الغفلة والانخداع . والباحث يخيل للقراء أو قل يخيل إليه أنه قد أحاط بالأدب والأدباء الجاهليين مع أنه لم يحط من ذلك بشيء . وإنما عرف صياغة بعض الجمل ، وعلماً عامياً اقتطفه من الكتب اقتطافاً.. وآية ذلك أنه في بحثه الجديد الذي سماه « بعث الشعر الجاهلي » لم يكشف للناس عن شيء جديد في أمر هؤلاء الشعراء الجاهليين وشعرهم ، وإنما ظل هؤلاء عند من يشك كما كانوا ، بل زادوا شكاً وارتياباً .

هذا النحو من البحث السطحي شر، لأنه قاصر وعقيم، ولأنه لم يأت بالثمرة المطلوبة أو بما يشبهها ، ولأنه لا يمت إلى العلم بصلة، ولأنه لا يصلح إلا للمتوسطات من المدارس .

لقد حدثتك عن الوجه الأول والثاني ، وقد كدت أن أنسى الوجه الثالث وفيه اقترف المؤلف من الأحكام الخواطئ والتفسيرات السقيمة والآراء الفطيرة ما جعلنا نتذكره ونشمر بضرورة الهداية والإصلاح والجهاد في سبيل الأدب والأدباء .

يشرح الدكتور معنى البيت :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

قائلا : إن الشاعر « يعلن أنه يعرف ماضي الحياة وحاضرها لأنه رآهما ، ولكنه يجهل مستقبلها » (ص ٤١) وهذا الشرح معقول مقبول لا يختلف فيه اثنان ، ولكن مما يدعو إلى النظر والتروي ما يستنتجه الدكتور من قول الشاعر: « ولكنني عن علم ما في غد عم » إذ يزعم « أنه لا يؤمن بالبعث » (ص ٤١) .

إن هذا الادعاء باطل ؛ فإن الرواة يتحدثون أنه تنبأ بظهور الإسلام وأوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما . وهم يروون له أشعاراً كثيرة فيها أصول دينية . وذكر أبو عبيدة عن قتيبة ابن شبيب بن العوام بن زهير عن آبائه الذين أدركوا بجيراً وكعباً ابني زهير قال : كان أبي من مترهبة العرب وكان يقول : « لولا أن تفندوني لسجدت للذي يحيي بعد الموت ! قال : ثم إن زهيراً رأى قبل موته بسنة في نومه كأنه رفع إلى السماء حتى كاد يمس السماء بيده ثم انقطعت به الحبال ، فدعا بنيه فقال : يا بني ، رأيت كذا وكذا وإنه سيكون بعدي أمر يعلو من اتبعه ويفلح، فخذوا بحظكم منه، ثم لم يعش إلا يسيراً حتى هلك فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولنسلم أن هذه الروايات مفتعلة محمولة على زهير ولندعها جانباً، ولنرجع إلى الشاعر نفسه نسأله عن رأيه في البعث فسيقول لنا دون تردد :

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

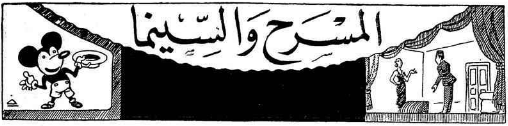
فاتق الله يا دكتور في دين الناس ، ولا تضلك ظواهر الكلم ، فإن الشاعر يريد أن يقول في بيته الذي آخذته عليه : وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وأنها لا تعلم الغيب

عفا الله عنك يا دكتور! فلولا أنك كنت تلبس العمة وترتدي القباء وكنت شيخاً في الظاهر والباطن، كما هو معروف عنك قبل أن تقصد باريس ، لاتهمناك بنكران الحساب وبرأنا زهيراً ! ألست أنت الذي تقول في قصيدة وجدانية قلتها في نهر الليس (ص ١٥١)

لا تحسبن لماض ولا لآت حسابا

من يدري ! لعل الدكتور قد زاغ قلبه حين أحس بجلال طبيعة فرنسا وحين تضاءل جلال الله أمام جلال نهر الليس !؟ سبحانك يا رب !

(يتبع) الأعظمية خليل أحمد جلو



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

غادة الكاميليا

لا يعدو الحقيقة من يقول إن رواية غادة الكاميليا قد أفاد منها المسرح المصري أضعاف ما أفاده من رواية بل من روايات عديدة غيرها ، وإن النهضة المسرحية تدين لها بالشيء الكثير . ويمكن أن ينسب جزء كبير من النجاح الذي لاقته فرقة رمسيس إلى هذه الرواية التي فتنت الجماهير ولعبت بألبابهم . وكما كانت (أوديب) الرواية التي جعلت لجورج أبيض شأناً أي شأن ؛ وكما كانت (الموت المدني) الرواية التي نال بها عبد الرحمن رشدي تقدير الجماهير ، كذلك كانت (غادة الكاميليا) الرواية التي بلغت بها فرقة رمسيس أوج المجد ، ومهدت الطريق لانتصارات كثيرة بعدها ، وإن كان شأن يوسف وهبي فيها غير ذي خطر إلى جانب السيدة روز اليوسف التي قامت بدور الغادة الفاتنة فوفقت فيه أعظم توفيق ووضعت اسمها به في ثبت الخالدين . إلا أن يوسف استطاع أن يفيد منها كما يفيد الأذكياء من توافه الأمور . وهكذا جعل من دور «أرمان» شيئاً يذكر وبطلاً يشار إليه بالبنان . بيد أن النقاد كانوا له بالمرصاد ، وكان لأنفه — أنف يوسف لا أنف أرمان — قصص وحكايات كانت موضع تندر النقاد وسخريتهم على غير طائل ، فقد ارتفع شأن فرقة رمسيس أيما ارتفاع ، وصار جمهور الخاصة ينظر إلى الفرقة بعين الاعتبار ، ويقدر مجهودها ونشاطها ، وبذلك أصبح مسرح رمسيس وصالة التدخين التي جعلها يوسف إلى خلف المقاصير منتدى الطبقة الراقية في مصر ، ومكان لقيامهم المفضل في الليالي الساهرة ، وكانت الفرقة تخرج كل أسبوع رواية ، وكان لكل يوم من أيام الأسبوع طبقة خاصة أو طائفة خاصة من الناس ، كما هو الشأن في بعض دور السينما اليوم .

وهكذا في أسابيع معدودة احتلت فرقة رمسيس مكاناً سامياً وغدا اسمها وأسماء أبطالها على كل لسان .

وللتاريخ نضع ثبتاً بأسماء هؤلاء الممثلات والممثلين الذين ارتفع عنهم ستار رمسيس في عام ١٩٢٣ وهم :

يوسف وهبي — عزيز عيد — حسين رياض — أحمد علام — مختار عثمان — إستفان روستي — أدمون تويما — حسن البارودي — علي هلال — أحمد عسكر — عبد العزيز محبوب — توفيق صادق — صادق عارف — محمد ابراهيم — حسن شلبي

ثم السيدات : روز اليوسف — زينب صدقي — فاطمه رشدي — سرينا ابراهيم — ماري حداد — نعمت كمال

وكان مخرج الفرقة هو عزيز عيد ، وحسن شلبي ملقنها . وكان أحمد عسكر أحد الممثلين ، بيد أنه أصبح بعد قليل الداعي الأكبر للفرقة وصوتها المسموع في كل مكان إذ احتل من الفرقة المكان الذي يحتله اليوم من الفرقة القومية ، وهو جدير بالمكان الذي يشغله ما دام يلتزم حدوده فيه ؛ وكان علي هلال (ريجسير) الفرقة ؛ أما أدمون تويما فلم يكن طوال عمره الممثل الذي يعتمد عليه ، بيد أنه كان دائماً البطل الذي يعمل من وراء ستار كما هو شأنه اليوم في الفرقة القومية أيضاً ، فلهذا الفنان خبرة تامة بشئون المسرح وتستطيع أن تضمه في مصاف المخرجين وإن تكن ثقافته ومعارفه ودرايته تفوق بعضهم بكثير .

(للكلام بقية)

ملاحظات

البعثات الفنية

من المفارقات العجيبة التي لا تحدث في غير مصر أن اللوم يقع شديداً على الحكومة لأنها تمنى أكثر العناية بمبعوثيها ماداموا في بعثاتها فإذا عادوا أهملتهم كل الإهمال ولم تستفد منهم وكأنما أرسلتهم لغير غرض وبلا أدنى تفكير في مصيرهم

بيد أن الفرقة القومية، وصلتها بالحكومة غير بعيدة، قد خالفت هذه القاعدة الذهبية وعنيت بمبعوثيها في الخارج وزادت عنايتها بهم عند عودتهم . على أن أغلبهم لم يذكر يدها عنده وأنكر فضلها وآثر التمرد والعصيان . فمنذ بضعة شهور عاد أحد المبعوثين رافعاً راية العصيان قبل أن يصعد ظهر الباخرة وظل رافعاً الراية الحمراء حتى وصل وحتى استقال أو أقيل ساخطاً متبرماً في غير داع للسخط أو التبرم إلا أنه شعر بضعفه وعدم قدرته على الاضطلاع بالمهمة التي بعث من أجلها ...

ومنذ أسابيع عاد آخر بعد أن تسلم الراية الحمراء من زميله وأعلن في غير حياء أن مرتبه ضئيل طالباً رفعه ومساواته بكبار المخرجين !

أما الذي عاد آخرهم فقد تذرع بالصمت وراح يعمل أو ينتظر أن يعمل في هدوء راضياً قانعاً بنصيبه المتواضع . وإنها لمعجزة !

ترى هل يعرف المتمردون أنهم يجرمون في حق الفن وفي حق أنفسهم وأن عقابهم يجب أن يكون شديداً ؟

إن الفرقة القومية لم تبذل في سبيلهم هذه الآلاف من أجل أن يعودوا فينتقضوا عليها ! إنها لسرقة علنية ، فإما أن يكلف هؤلاء برد الآلاف التي صرفت عليهم ، وإما أن يجلدوا أو يسجنوا وفاء لديونهم

اختيار الروايات في الفرقة القومية

تحدثنا في عدد مضى عن السياسة العجيبة التي تسير عليها الفرقة القومية في اختيار الروايات ، وذكرنا قصة (جنون الشرف) التي رفضت و (الخطاب) التي قبلت

وقد ضاق المقام عن إيراد بعض الأمثلة التي وعدنا بها القراء الكرام ، واليوم نعود إلى مواصلة الكلام

ويجرنا الحديث عن اختيار الروايات ، إلى الحديث عن لجنة القراءة التي تختار هذه الروايات ، أو التي يقولون إنها تختارها .

منذ عامين تقدم الأستاذ حسين عفيف بروايته : (وحيد) إلى الفرقة القومية ، وعرضت الرواية على لجنة القراءة فقبلتها وهنأت صاحبها ، وقدرت إدارة الفرقة ثمنها وصرفته له .

ثم تبين بعد ذلك أن الرواية لم تعرض على قلم المراقبة بوزارة الداخلية ، فأرسلت إليه فرفض إجازة تمثيلها ، لأن فيها أموراً تخدش الشرف والعرف العام

ومن العجيب أن يكون هذا رأى موظف في الدرجة الثامنة أو السابعة ، على حين أن في لجنة القراءة شيوخاً معممين وعلماء جهابذة ، وزعماء في الأدب والفن والأخلاق ، ومن العجيب أيضاً أن ينتصر رأى هذا الموظف ولا تمثل الرواية .

ولنا أن نتساءل إذن عن وقع هذه اللطمة على لجنة القراءة ؟ على أن هذه اللجنة تستأهل ما جرى لها . فقد ترجم بعضهم رواية (البيت المهدم) لأميل فابر ، وعرضت على اللجنة فرفضتها . وترجم آخر الرواية بعينها ، بيد أنه كان ماكراً خبيثاً فأبدل اسم جورج بمحمد ، وغير اسم ماري بزينب ؛ أما اسم الرواية فقد جعله (الأفاعي) وزعم أنها من تأليفه

وعرضت الرواية في نفس الوقت على اللجنة الموقرة ، فقبلتها ودفعت لصاحبها الثمن ، ولم تفطن إلى أن هذه من تلك !

فلما قرئت الرواية على الممثلين عرفوها وقرعوا أجراس الفضيحة غير نادمين ؟

وبعد فقد أدى إهمال اللجنة إلى خسارة أكثر من مائة جنيه أو تزيد ، وفي نفس الوقت كان دليلاً رائعاً على أنها لا تصلح للمهمة التي وكلت إليها ! وهل بعد ذلك من دليل ؟

(فرعون الصغير)

أخبار سينمائية



« جوان بلوندل » زوجة ديك باول وإحدى فاتنات هوليود وبطلة عدة روايات موسيقية ناجحة ومن أظرف رواياتها (الملك والراقصة) التي عرضت منذ عامين في دار سينما ستوديو مصر . وكان يقوم بدور القيادة أمامها الممثل البارع « فرنان جرافيه » بطل (الفالس الكبير)

شارل لافتون

يظهر أن هذا الممثل الإنجليزي البارع يحب البحر أو أن البحر هو الذي يميل إليه . كانت أول رواياته في هوليود (الشيطان في الأعماق) مع « تالولا بانكهيد » وكان يقوم فيها بدور ضابط بحري في غواصة . وهل يمكن أن ينسى القراء دوره العظيم (كابتن بلاي) في رواية « الثورة على السفينة بونتي » ثم دوره في رواية « سفينة الغضب » وأخيراً فانه في رواية « خان جاميكا » يعود إلى البحر مرة أخرى !



« بيتي ديفيز » نجمة شركة وارنر وقد سطع نجمها في وقت كان يظن فيه أن حياتها الفنية قد انتهت ، وذلك أنها قبلت القيام بالدور المكروه في رواية (الاستعباد) مع لسلي هوارد فنجحت فيه نجاحاً رفعها دفعة واحدة إلى مرتبة النجوم . ثم توالت انتصاراتها من بعد ذلك .



« السيدة عزيزة أمير » كما سنراها في الفلم المصري « بياعة التفاح » الذي سيظهر في الموسم السينمائي الجديد . ومما هو جدير بالذكر أنها أول من ظهرت على الشاشة من الممثلات المصريات ، وكان لها فضل إدخال الفن السينمائي في مصر ، وهي إلى جانب ذلك ممثلة مسرحية مجيدة

سيجريد كوري

يخرجون الآن في شركة يونيفرسال رواية « النساء المنسيات » للنجمة البارعة « سيجريد كوري »

الطفل سابو

يتمرن الآن الطفل سابو على صناعة النشل ليقوم بدوره في رواية « لص بغداد » . وقد أمكنه أثناء مدة التمرين أن ينشل بضعة أشياء ثمينة من رجال الأستديو مما دعاهم إلى الثناء عليه . وهذه أول مرة يثني فيها على فرد لأنه قام بمهمة النشل خير قيام !



« باتريشيا موريسون » . وقد سطع نجمها فجأة هذا العام ويتوقعون لها صعوداً سريعاً إلى مرتبة النجوم ، وهي قريبة الشبه إلى ميرل أوبرن كثيرة التشبه بها . وقد بدأوا يحيكون حولها شبكة من الحكايات والأقاصيص ليملأوا الأفواه باسمها كما تجري الألسنة بذكرها